

نزول القرآن الكريم

تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن الشايع

الهدى الى
مكتبة مركز تفسير
لأولف

نزل القرآن الكريم

تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن الشايع

قسم القرآن وعلومه

كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض

③ محمد بن عبد الرحمن الشايع ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشايع، محمد بن عبد الرحمن

نزل القرآن الكريم . - الرياض .

١٥٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ١-٣٤٤-٢٠-٩٩٦٠

١- القرآن - نزول ١- العنوان

١٨/٠٢٢٨

ديوي ٢٢٣

ردمك ١-٣٤٤-٢٠-٩٩٦٠

رقم الإيداع : ١٨/٠٢٢٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٩٧م / ١٤١٨هـ

تقديم:

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ورسوله ليكون للعالمين بشيراً ونديراً والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فإن موضوعات علوم القرآن الكريم كثيرة انتدب العلماء والباحثون أنفسهم لدرسها والعناية بها. فألفت المؤلفات، وصنفت الموسوعات، وأفردت بعض الموضوعات بالتأليف وخصت بالتصنيف لأهميتها وحاجتها لمزيد بحث، وعمق في الدرس. ولا يزال بعضها يحتاج إلى مزيد من إلقاء الضوء عليه وتلمس وجه الحق فيه مما لم يفرد بالدراسة.

ومن هذه الموضوعات التي لم تفرد بدراسة خاصة وهي في حاجة إليها موضوع "نزول القرآن الكريم" حيث لم يكتب فيه إلا القليل، وهو موضوع يشتمل على مسائل هامة أظهرها:

- ١ - مسألة تنزلات القرآن الكريم.
 - ٢ - مسألة القول بتكرار نزول بعض السور والآيات.
 - ٣ - مسألة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.
- وقد حظيت المسألة الثالثة بدراسات كثيرة. وكتابات وفيرة قديمة وحديثة ولذا لم أتعرض لها هنا مع أنه لا تزال تستهوي الباحثين الكتابة فيها. وأما الأولى والثانية من تلك المسائل الهامة فلم تفرد بدراسة مفصلة فكانت هذه المحاولة للقيام بذلك والإسهام في دراستها.

أسأل الله أجر هذا الجهد وذخره. وأن يكون خالصاً لوجهه.

د. محمد بن عبد الرحمن الشايع
الرياض. يوم السبت ١٣/١١/١٤١٧هـ
ص.ب ٤١٨٢٥ الرياض ١١٥٣١

النزول في اللغة:

جاءت مادة "نزل" في اللغة بتصرفات كثيرة: نزل، وأنزل، وتنزل، ونزّل.. وغير ذلك. كما جاءت هذه المادة بكثرة في القرآن الكريم بتصرفاتها المختلفة حيث بلغت أربعة وأربعين تصرفاً في (٢٩٥) آية.^(١)

والنزول في الأصل: انحطاط من علو إلى سفلى.^(٢) فيقال نزل فلان من الجبل، ونزل عن الدابة، ويطلق على الحلول فيقال: نزل فلان في المدينة أي حل بها، والإنزال: الإحلال، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^(٣)

ويتعدى فعل "نَزَلَ" اللّازم: بالحرف كقولك: نزلت به نازلة. وبالهزمة، كقولك: أنزل الله القرآن على محمد ﷺ، وبالتضعيف، كقولك: نَزَّلَ الله القرآن على محمد ﷺ.^(٤)

والمنزل: موضع النزول، والمنزلة مثله، وهي أيضاً المكانة.^(٥)

والتُّزُل: ما يعد للنازل من الزاد.^(٦) قال تعالى: ﴿فَنَزَلَ مِنْ حَمِيمٍ﴾^(٧)

(١) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع مجمع اللغة العربية، مادة نزل (٥٠٩/٢). ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، د. اسماعيل إبراهيم (٢٢٧).

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني (٧٤٤).

(٣) سورة المؤمنين: ٢٩

(٤) انظر: المصباح المنير (٧٣٤)، وتاج العروس، مادة "نزل" (١٣٢/٨) - بتصرف -.

(٥) المرجع السابق.

(٦) مفردات الراغب (٧٤٥).

(٧) سورة الواقعة: ٩٢

النزول في القرآن الكريم:

ورد لفظ "النزول" في القرآن الكريم، على ثلاثة أنواع: ^(١)

النوع الأول: نزول مقيد بأنه من الله جل وعلا.

النوع الثاني: نزول مقيد بأنه من السماء.

النوع الثالث: نزول مطلق غير مقيد بهذا أو بذاك.

فالنوع الأول وهو المقيد بأنه من عند الله اختص بالقرآن الكريم فلم يرد إلا معه في آيات كثيرة، كقوله تعالى:

١. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسُ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾. ^(٢)

٢. ﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. ^(٣)

٣. ﴿حَمْدٌ * نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾. ^(٤)

٤. ﴿حَمْدٌ * نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ^(٥)

٥. ﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ^(٦)

٦. ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ^(٧)

^(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية (١٢/١١٨، ٢٤٦)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٩٦/١) والبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للشيخ طاهر الجزائري (٦٤).

^(٢) سورة النحل: ١٠٢

^(٣) في ثلاثة مواضع: سورة الزمر/١، وسورة الجاثية/٢، وسورة الأحقاف/٢.

^(٤) سورة غافر: ٢، ١.

^(٥) سورة فصلت: ١، ٢.

^(٦) سورة السجدة: ٢.

^(٧) في موضعين: سورة الواقعة/٨٠، وسورة الحاقة/٤٣.

وهذا التنصيص بأنه من الله جل وعلا، وتخصيص القرآن بذلك له دلائله: ففيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من مخلوقات الله. كما تقول بذلك بعض الطوائف. وفيه بيان بطلان القول بخلق القرآن. وبطلان القول بأنه فاض على نفس النبي ﷺ من العقل الفعال أو غير ذلك من أقاويل أهل الكلام.^(١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مستدلاً بصريح الآيات السابقة: "فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد ولا غيرهما..".^(٢)

واختيار مادة النزول وما تصرف منها للكلام عن مصدر القرآن الكريم فيه تشريف وتكريم لهذا الكتاب وبيان علو منزلته كما قال تعالى: ﴿حَمَّ* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا لِّعَلِيَّ حَكِيمٍ﴾^(٣) فالنزول لا يكون إلا من علو.

وأما النوع الثاني، وهو النزول المقيد بأنه من السماء. فيتناول نزول المطر من السحاب، ونزول العذاب، ونزول الملائكة من عند الله. وغير ذلك. فقد ورد في آيات كثيرة ذكر إنزال الماء من السماء. كقوله تعالى:

١. ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ...﴾^(٤)

(١) انظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/١٢٠).

(٢) المصدر السابق (١٢/١٢٦).

(٣) سورة الزخرف: ١-٤.

(٤) سورة البقرة/٢٢.

٢. ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(١)

٣. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)

٤. ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(٣)

٥. ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٤) وغيرها كثير.

والمراد بالسمااء في هذه الآيات: السحاب حيث فُسِّرَ في قوله تعالى:

﴿أَتُمِزُّونَهُمْ مِنَ الْمَزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزَلُونَ﴾^(٥) فالسمااء اسم جنس لكل ما علا وارتفع.

وجاء في إنزال العذاب من السمااء قوله تعالى:

١. ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٦)

٢. ﴿إِنَّا مَنزُلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٧) والرجز هو العذاب.

وقال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا

خَاضِعِينَ﴾^(٨)

(١) سورة البقرة/١٦٤

(٢) سورة الأنعام/٩٩

(٣) سورة الرعد/١٧

(٤) سورة النحل/٦٥

(٥) سورة الواقعة/٦٩

(٦) سورة البقرة/٥٩

(٧) سورة العنكبوت/٣٤

(٨) سورة الشعراء/٤

وفسرت "الآية" هنا بما عظم من الأمور القاهرة، أو ما ظهر من الدلائل الواضحة.^(١)

وقال تعالى في إنزال الملائكة من السماء: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَشُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةً رُسُلًا﴾^(٢)

وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾^(٣) ففسر الجند هنا بالملائكة.^(٤)

وأما النوع الثالث وهو الإنزال المطلق فهو عام لا يختص بنوع منه من ذلك قوله سبحانه:

١ - ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾^(٥) فقد فسر قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ بجعلنا، وأظهرنا، وخلقنا.^(٦)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (... وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لأنه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته. فإن الحديد إنما خلق من المعادن - ثم ربط هذا المعنى بأصل الإنزال لغة فقال -: والمعادن إنما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم)^(٧)

(١) انظر: تفسير الماوردي (١٦٥/٤).

(٢) سورة الإسراء/٩٥

(٣) سورة يس/٢٨

(٤) انظر تفسير الماوردي (١٥/٥).

(٥) سورة الحديد/٢٥

(٦) انظر تفسير الماوردي (٤٨٣/٥)

(٧) الفتاوى (٢٥٤/١٢)، وانظر (١١٨/١٢).

وقال في موضع آخر: "... ربما يتناول الإنزال من رؤوس الجبال

كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾^(١)

- وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾^(٢) فقد فسر يجعل

وخلق، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه على ظاهر معناه. فقال:

"وهذا مما أشكل - أيضاً - فمنهم من قال جعل، ومنهم من قال: خلق لكونها
تخلق من الماء فإن به يكون النبات الذي ينزل أصله من السماء وهو الماء.

وقال: قطرب: جعلناه نزلاً - ثم قال متعباً تلك الأقوال: ولا حاجة إلى

إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة فإن الأنعام تنزل من بطون أمهاتها، ومن
أصلاّب آبائها تأتي بطون أمهاتها ويقال للرجل: قد أنزل الماء، وإذا أنزل
وجب عليه الغسل مع أن الرجل غالب إنزاله وهو على جنب إما وقت الجماع
وإما بالاحتلام فكيف بالأنعام التي غالب إنزالها مع قيامها على رجليها
وارتفاعها على ظهور الاناث؟ - ثم قال داعماً هذا الاستدلال - :

ومما يبين هذا أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل

أنزل النبات ولا أنزل المرعى وإنما استعمل فيما يخلق في محل عالٍ وأنزله الله
من ذلك المحل كالحديد والأنعام"^(٣)

- وفي قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً﴾^(٤)

(١) الفتاوى (١١٨/١٢).

(٢) سورة الزمر/٦

(٣) الفتاوى (٢٥٤/١٢)

(٤) سورة الأعراف/٢٦

فقد جعله ابن تيمية رحمه الله على ظاهره حيث أن اللباس والرياش ينزل من ظهور الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار. والأنعام نفسها منزلة من الأصلاب والبطون فهو منزل من جهتين لأنه على ظهور الأنعام لا ينتفع به بنو آدم حتى ينزل.^(١)

وقد تبين لابن تيمية رحمه الله تعالى من استقراءه للآيات أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف وأن هذا هو اللائق بالقرآن الكريم لأنه نزل بلغة العرب.^(٢)

وقوله سبحانه: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾^(٥)

وغيرها من الآيات، حيث لم يرد فيها تعيين المنزل منه. كما ورد في النوعين قبله، فهو إنزال مطلق يفسر بحسب السياق، أو بما ورد موضحاً له في مواضع أخرى.

الفرق بين الإنزال والتنزيل:

ذهب إلى القول بالفرق بين اللفظتين جمع من اللغويين والمفسرين فهو قول الواحدي، والزمخشري، والراغب الأصفهاني، والسمين الحلبي، وابن الزبير الغرناطي، وغيرهم.^(٦)

(١) انظر الفتاوى (٢٥٧/١٢).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) سورة الفتح/٢٦

(٤) سورة الفتح/٤

(٥) سورة التوبة/٢٦

(٦) كالقرطبي في تفسيره (٥/٤)، وابن الجوزي (٣٤٩/١)، وأبي السعود (٤/٢)، وبيان الحق النيسابوري في كتابه وضع الرهان في مشكلات القرآن (٢٣٣/١).

وذلك استدلالاً بالآيات التي فرقت بين اللفظتين حين ذكرت نزول الكتب السماوية وجمعت بينها، كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿آلَمْ * الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه * وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام﴾^(١)

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة النساء: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله * والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملأته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾^(٢)

يقول الواحدي عند تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿نزل عليك الكتاب بالحق﴾ إنما قال "نزل" وقال: ﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾ لأن التنزيل للتكثير، والقرآن نزل نجوماً، شيئاً بعد شيء، والتوراة والإنجيل نزلتا دفعة واحدة^(٣)

وقال الجرجاني في كتابه التعريفات مفرقاً بين اللفظتين: "الفرق بين الإنزال والتنزيل: الإنزال يستعمل في الدفعة، والتنزيل يستعمل في التدريج"^(٤)

(١) سورة آل عمران ١-٤

(٢) سورة النساء/١٣٦

(٣) البسيط للواحدي، (١٥٢)، رسالة دكتوراه للباحث: أحمد محمد صالح الحمادي، كلية أصول

الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(٤) التعريفات للجرجاني (٧٣).

واستهل الزمخشري خطبة كتابه الكشاف بقوله: "الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً، ونزله بحسب المصالح متجماً.." ^(١) فقال المحققون من شراحه بأنه جمع بين أنزل ونزل لما في نزل من الدلالة على التكثير. ^(٢) وقد نص الزمخشري على هذا في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. فقال: "فإن قلت: لم قيل: نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل؟ قلت: لأن القرآن نزل منجماً ونزل الكتابان جملة" ^(٣)

وقد دافع السمين الحلبي عن رأي الزمخشري في التفريق بين نزل وأنزل وأن نزل تدل على التكثير والتنجيم. وذلك حين أجاز الزمخشري أن يراد بالفرقان في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: القرآن. فقال السمين الحلبي: "قلت: قد يعتقد معتقد أن في كلامه هذا رداً لقوله الأول حيث قال: إن "نزل" يقتضي التنجيم، و"أنزل" يقتضي الإنزال الدفعي ولكن لا ينبغي أن يعتقد ذلك لأنه لم يقل إن "أنزل" للإنزال الدفعي فقط بل يقول: إن "نزل" بالتشديد يقتضي التفريق وأنزل يحتمل ذلك ويتحمل الإنزال الدفعي". ^(٤)

وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته: "والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً

^(١) الكشاف للزمخشري (٣/١)

^(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/١).

^(٣) الكشاف (٤١١/١).

^(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. للسمين الحلبي (٢٢/٣-٢٣).

ومرة بعد أخرى والإنزال عام". فمما ذكر فيه التنزيل قوله تعالى....: ﴿ونزلناه تنزيلاً﴾^(١) وقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾^(٢)....

وأما الإنزال فكقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾^(٣) وإنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل لما روي أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا ثم نزل نجماً فنجماً^(٤)

وقال ابن الزبير الغرناطي في معرض حديثه عن آية سورة آل عمران السابقة: "إن لفظ نزل يقتضي التكرار لأجل التضعيف... فقوله تعالى: ﴿نزل عليك الكتاب﴾ مشير إلى تفصيل المنزل وتنجيده بحسب الدعاوى وأنه لم ينزل دفعة واحدة، أما لفظ أنزل فلا يعطي ذلك إعطاء نزل وإن كان محتملاً..."^(٥) ومن هنا قيل: بأن بين اللفظتين فرقاً وأن التعبير القرآني عما نزل دفعة واحدة يأتي بلفظ "أنزل"، وما نزل مفرقاً منجماً يأتي بلفظ "نزل" فاختلاف التعبير دال على اختلاف صفة التنزيل ولذلك لما جمع الله بين القرآن والتوراة والإنجيل في آية سورة آل عمران جاء مع القرآن لفظ نزل، ومع التوراة والإنجيل لفظ أنزل للدلالة على ذلك المعنى.

(١) سورة:الإسراء/١٠٦

(٢) سورة الحجر/٩

(٣) سورة القدر/١

(٤) مفردات الراغب، مادة نزل (٧٤٤) - بتصريف - وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٤٠/٥)

(٥) ملاك التأويل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (٢٨٦/١) تحقيق: د. سعيد الفلاح.

وقد رد أبو حيان القول بالتفريق بين نزل وأنزل المبني على أن
التضعيف في نزل دليل على التكثر والتنجيم؛ من وجوه:

١ - أن ذلك ذهول من الزمخشري ومن معه فاستفادة التكثر عن طريق
التضعيف إنما يكون غالباً في الأفعال التي تكون قبل التضعيف متعدية نحو
جرحت زيداً... ونزلنا لم يكن متعدياً قبل التضعيف إنما كان لازماً
وتعديه إنما يفيد التضعيف، أو الهمزة.

فيكون التعدي المستفاد من التضعيف دليلاً على أنه للنقل لا للتكثر إذ
لو كان للتكثر وقد دخل على الفعل اللازم لبقى لازماً. فكأن تضعيف الفعل
لا يؤدي الفائدةين معاً:

فائدة نقل الفعل من اللازم إلى المتعدي. وفائدة التكثر أيضاً.^(١) فصار
التضعيف في نزل مفيد للنقل لا للتكثر.
يقول ابن عاشور في تأييد هذا المعنى:

"والتضعيف في "نزل" للتعدي فهو يساوي الهمز في "أنزل" وإنما
التضعيف يؤذن بقوة الفعل في كميته أو كميته في الفعل المتعدي بغير التضعيف
من أجل أنهم قد أتوا ببعض الأفعال المتعدية للدلالة على ذلك كقولهم: فسّر
وفسّر، وفرّق وفرّق، وكسّر وكسّر كما أتوا بأفعال قاصرة بصيغة المضاعفة
دون تعدي للدلالة على قوة الفعل، كما قالوا: مات وموت، وصاح وصيح
فأما إذا صار التضعيف للتعدي فلا أوقن بأنه يدل على تقوية الفعل إلا أن
يقال: إن العدول عن التعدي بالهمز إلى التعدي بالتضعيف لقصد ما عهد في

^(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/١٠٣).

التضعيف من تقوية معنى الفعل فيكون قوله ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أهم من قوله ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾ للدلالة على عظم شأن القرآن^(١).

١ - فيكون إفادة معنى التكثير في مثل هذا المقام وذلك حال استعمال التضعيف للتعدية من مستتبعات الكلام؛ حاصل ليس من التضعيف وإنما من قرينة عدول المتكلم البليغ عن المهموز الخفيف إلى المضعف الثقيل. فهذا العدول والجمع بينهما قرينة على إرادة التكثير^(٢).

٢ - أنه لو كان التضعيف في "نَزَلَ" لإفادة التكثير والتنجيم لما جاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾^(٣) جامعاً بين التضعيف وقوله ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ وهما متنافيان في الدلالة^(٤).

٣ - أن من أدلة عدم الفرق بين اللفظتين وأنها بمعنى واحد؛ القراءة بالوجهين في كثير مما جاء كذلك. يقول أبو حيان: "ويدل على أنهما بمعنى واحد قراءة من قرأ ما كان من "ينزّل" مشدداً؛ بالتخفيف - إلا ما استثنى - فلو كان أحدهما يدل على التنجيم والآخر على النزول دفعة واحدة لتناقض الأخبار وهو محال"^(٥).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٧/٣).

(٢) انظر المصدر السابق (١١/١).

(٣) سورة الفرقان/٣٢

(٤) انظر: البحر المحيط (١٠٣/١) والتحرير والتنوير (١٤٨/٣) وفتح الرحمن بكشف ما يلبس من القرآن لذكرى الأنصاري (١٩٧).

(٥) البحر المحيط (٣٧٨/٢)، والدر المصون (٢١/٣).

ويؤيد هذا قراءة قوله تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ﴾ بالتشديد ﴿فَرَقْنَاهُ﴾^(١) والتخفيف ﴿فَرَقْنَاهُ﴾^(٢) كما أنه قد جاء مع القرآن أنزل، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾^(٣) يقول سيبويه: "فَعَلَ وَأَفْعَلَ يتعاقبان".

٤ - مجيء "نزل" المضعف في آيات كثيرة بحيث لا يراد منها إفادة التكثير والتنجيم إلا على تأويل متكلف وبعيد جداً كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٤) وقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾^(٥) فالمراد هنا مطلق الإنزال لا تكثي المنزل.^(٥)

ومن أجل هذا ذهب بعضهم إلى جعل هذا التفريق غالباً في استعمال القرآن لا قاعدة مطردة محاولة للجمع بين القولين.^(٦)

(١) راجع توثيق القراءة. ص ١٧، حاشية (١).

(٢) سورة النحل/٤٤

(٣) سورة الأنعام/٣٧

(٤) سورة الإسراء/٩٥

(٥) انظر: البحر المحیط (٣٧٨/٢) والدر المصون (٢١/٣).

(٦) انظر: المدخل لدراسة القرآن للشيخ محمد محمد أبو شهبه (٤٩).

تنزلات القرآن الكريم

القول الأول:

أن للقرآن الكريم تنزلان نزول جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر المباركة من شهر رمضان الكريم، ونزول منجم على الرسول ﷺ في نحو ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث من بعثته إلى وفاته عليه الصلاة والسلام.^(١)

المقابلون به:

قاله ابن عباس وجماعة وقال عنه الزركشي في البرهان:^(٢) إنه أشهر وأصح وإليه ذهب الأكثرون ووصفه ابن حجر بأنه: الصحيح المعتمد^(٣) وقال ذلك عنه -أيضاً- القسطلاني في لطائف الاشارات.^(٤) وذكر السيوطي أن القرطبي حكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.^(٥)

وحكاية الإجماع في ذلك لا تصح لوجود المخالف في ذلك وتعدد المذاهب فيه.^(٦)

(١) انظر: البرهان للزركشي (٢٢٨/١)، والاتقان للسيوطي (١٤٦/١-).

(٢) البرهان (٢٢٨/١).

(٣) فتح الباري (٤/٩).

(٤) لطائف الاشارات للقسطلاني (٢٢).

(٥) الاتقان (١٤٨/١)، ومناهل العرفان (٣٩/١)، تفسير القرطبي (٢٩٧/٢).

(٦) وقد حكى ابن حجر عن شيخه البلقين معنى غريباً في نزول القرآن جملة لم يتأبع عليه وذلك عند بيان معنى قول جبريل عليه السلام -للنبي ﷺ- في بدء الوحي: اقرأ. فقيل: "أي القدر" =

أدلتـه:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر/١) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ﴾ (الدخان/٣) وقوله جل وعلا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة/١٨٥).

فقد دل ظاهر هذه الآيات الثلاث أن القرآن الكريم أنزل جملة في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة من شهر رمضان. وهذا وصف مغاير لصفة نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ حيث إنه من المعلوم المقطوع به أن القرآن نزل على الرسول ﷺ منجماً مفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث.

فتعين أن يكون هذا النزول الذي دل عليه ظاهر الآيات نزولاً آخر غير النزول المباشر على النبي ﷺ. جاءت الأخبار الصحيحة بتبين مكانه وتوصيف نزوله وأنه جملة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وهذه الأخبار هي:

١ - قال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: حدثنا يزيد (يعني ابن هارون) عن داود بن أبي هند، عن عكرمة عن ابن عباس: قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في

== الذي أقره إياه وهي الآيات الأولى من ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ويحتمل أن يكون جملة القرآن، وعلى هذا يكون القرآن نزل جملة واحدة باعتبار ونزل منجماً باعتبار آخر. قال: وفي احضاره له جملة واحدة إشارة إلى أن آخره يكمل باعتبار الجملة ثم تكمل باعتبار التفصيل)، فتح الباري (٣٥٧/١٢).

عشرين سنة. وقرأ: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِقَرَأَةٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

تَنْزِيلًا﴾ (الاسراء/١٠٦) ^(١)

قال أبو عبيد: ولا أدري كيف قرأ يزيد في حديثه "فرقناه" مشددة أم لا؟ إلا أنه لا ينبغي أن تكون على هذا التفسير إلا بالتشديد "فرَّقناه" ^(٢)

٢ - عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه أو أن يحدث منه شيئاً أحدثه. ^(٣)

٣ - عن منصور بن المعتمر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: أنزل القرآن جملة

^(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣٦٨) وانظر طبعة المغرب بتحقيق أحمد الخياطي (٢٠٢/٢) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢٢٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٦٨/١) وشعب الإيمان (٤١٥/٢) رقم ٢٢٤٩، والنسائي في التفسير (١٣١/٢) رقم ٣٩٢ وقال المحقق صحيح. وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧٨/١٥) و(٢٥٨/٣٠). وانظر: فضائل القرآن للنسائي (٥٩)، وابن الضريس (٧٢). والمرشد الوجيز (١٤-) وذكره ابن كثير في فضائل القرآن (٦) عن أبي عبيد ثم قال: هذا إسناد صحيح.

^(٢) قراءة الجمهور بالتخفيف، وقرأ بالتشديد أبي، وعبد الله بن مسعود وعلي وابن عباس، وأبو رجاء وغيرهم. انظر تفسير ابن جرير (١٧٨/١٥)، والبحر المحيط (٨٧/٦). ومعجم القراءات القرآنية (٣٤٢/٣).

^(٣) أخرجه النسائي في فضائل القرآن (٥٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٦٨/١). والحاكم في المستدرك (٢٢٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأخرجه ابن الضريس بنحوه في فضائل القرآن (٧١-)

واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض قال الله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾ (الفرقان/٣٢).^(١)

٤ - عن حسان بن حريث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي ﷺ ويرتله ترتيلاً.^(٢)

٥ - وعن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان فجعل في بيت العزة.^(٣)

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٦٧/١) وفي شعب الإيمان (٣٢٠/٣) رقم (٣٦٥٩)، والحاكم في المستدرک (٢٢٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. وابن الضريس في فضائل القرآن (٧٢). وذكره أبو شامة في المرشد الوجيز (١٧) وذكر السيوطي - نحوه - في الدر المنثور وزاد نسبه لابن جرير وابن مردويه ومحمد بن نصر والطبراني وأخرجه النسائي في تفسيره (٥٣٩/٢) رقم (٧٠٩) وقال المحقق: صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٦٨/١)، والطبراني في الكبير (٢٦/١٢) رقم ١٢٣٨١، والحاكم في المستدرک (٢٢٣/٢) وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه النسائي في فضائل القرآن (٥٩-٦٠) وزاد في آخره: قال سفيان: خمس آيات، ونحوها. وانظر المرشد الوجيز لأبي شامة (٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه (٤٥٧/١) وزاد نسبه للفرابي وابن جرير ومحمد بن نصر وابن مردويه والضياء المقدسي في المختارة. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧/٧) وقال: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٢).

٦ - وعن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على النبي ﷺ في عشرين سنة جواب كلام الناس.^(١)

٧ - عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: أنزل الله القرآن جملة في ليلة القدر كله.^(٢)

٨ - وعن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة، في ليلة واحدة، في ليلة القدر إلى السماء الدنيا حتى رفع في بيت العزة.^(٣)

٩ - عن مقسم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: سأله عطية بن الأسود فقال: إنه وقع في قلبي الشك في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة/١٨٥) وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر/١) وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ﴾ (الدخان/٣) وقد أنزل في شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وشهر ربيع الأول؟ فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : إنه أنزل في رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٥٧/١) ولم ينسبه لغير ابن الضريس.

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٦٧/٨).

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ونسبه للطبراني والبخاري.

مباركة؛ جملة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلاً^(١) في
الشهور والأيام.^(٢)

١٠ - وعن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن ليلة القدر في
رمضان إلى السماء الدنيا جملة ثم أنزل نجوماً.^(٣)

١١ - وعن ابن عباس في قوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال أنزل القرآن جملة
واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ونزله جبريل على محمد
ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم.^(٤)

(١) رسلاً: قطعة قطعة وفرقة فرقة. انظر: حاشية تفسير الطبري (٤٤٦/٣).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٦٩/١-) وأخرجه الطبري في تفسيره بسنده
(٤٤٨/٣) ولم يسم فيه السائل. وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٠٩/١١) رقم (١٢٠٩٥)
والهيتمي في مجمع الزوائد (٣١٦/٦) وقال عنه: وفيه سعد بن طريف وهو متروك.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٥٦/١) وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه،
ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤٧/١١) رقم (١١٨٣٩) والهيتمي في مجمع الزوائد (١٤٠/٧)
وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره، وفيه
ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦/١٢) رقم (١٢٣٨٢)، والهيتمي في مجمع الزوائد (١٤٠/٧)
وقال عنه: رواه الطبراني والبخاري باختصار ورجال البزار رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني
عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٧/٨) وزاد نسبه
لابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في
الدلائل.

١٢ - عن حكيم بن جبير الأسدي عن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل مفصلاً^(١).

١٣ - وعن إبراهيم النخعي في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ قال: أنزل جملة على جبريل عليه السلام، وكان جبريل يجيء بعد إلى محمد ﷺ^(٢).

ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث والآثار التي أخرجها الأئمة وصححوا بعضها، والتي يعضد بعضها بعضاً أنها وإن كانت موقوفة في جملتها على ابن عباس رضي الله عنه فإن لها حكم الرفع إلى النبي ﷺ لأن قول الصحابي الذي لا يأخذ عن الإسرائيليات فيما لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ وابن عباس لن يقول ما قال من هذا التفصيل والتحديد بمحض رأيه ومن عند نفسه فهو إذاً محمول على سماعه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منه من الصحابة والصحابة كلهم عدول.

وما أتى عن صاحب بحيث لا
قال في المحصول نحو من أتى
يقال رأياً حكمه الرفع على
فالحكم الرفع لهذا بساً

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه بسنده (٢٩٤/٢) رقم (٧٩) وفيه حكيم بن جبير ضعيف.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٩٩/٧) ولم ينسبه لغير سعيد بن منصور.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه بسنده (٢٩٢/٢) رقم (٧٨) وذكره السيوطي في الدر

المنثور (٣٩٩/٧) ولم ينسبه لغير سعيد ابن منصور.

القول الثاني:

أن للقرآن الكريم نزولاً واحداً هو النزول المنجم على النبي ﷺ وأنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر وهي الليلة المباركة من شهر رمضان.^(١)

القائلون به:

قاله الشعبي^(٢) ومحمد بن إسحاق^(٣) والنسفي^(٤) ومن المتأخرين محمد عبده في تفسيره جزء "عم"^(٥) والدكتور صبحي الصالح^(٦)

وقد عدّ السخاوي في جمال القراء^(٧) الشعبي من القائلين بالقول الأول مع ابن عباس وابن جبير. ويؤيد هذا ما أخرجه الطبري في تفسيره عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا.^(٨)

(١) انظر البرهان للزركشي (١/٢٢٨-) والاتقان للسيوطي (١/١٤٨) والمرشد الوجيز (٢٠) وتفسير القرطبي (٢٠/١٣٠).

(٢) انظر البرهان للزركشي (٢٢٩)، والاتقان للسيوطي (١/١٤٨) والمرشد الوجيز (٢٠) وتفسير الماوردي (٦/٣١٢) بتحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم والثعالبي (٤/٤٣٠).

(٣) نسبه له الفخر الرازي في تفسيره (٥/٨٥).

(٤) انظر تفسيره (١/٩٤) حيث قال: ﴿الذي أنزل فيه القرآن﴾ أي ابتدئ فيه إنزاله وكان في ليلة القدر.. وأشار إلى الإنزال جملة بصيغة التضعيف في تفسير سورة القدر (٤/٣٧٠) فقال: (روي أنه أنزل جملة..).

(٥) انظر تفسير جزء "عم" ص ١٢٢ ط. بولاق. والمدخل لأبي شعبة (٥٢).

(٦) انظر مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (٥١).

(٧) ينظر جمال القراء للسخاوي (١/٢٠).

(٨) تفسير الطبري (٢/١٤٥) (٣/٤٤٧) (٣٠/٢٥٨).

وهذا خلاف لما هو مشهور عن الشعبي في هذا، وما أخرجه الطبري
عن الشعبي هنا معارض بما رواه عنه -أيضاً- في تفسيره من طريق داود بن
أبي هند عن الشعبي. أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: نزل
أول القرآن في ليلة القدر.^(١)

وقد ذكر أبو شامة عن الشعبي رواية عدها قولاً رابعاً في معنى قوله
تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ فعن داود بن أبي هند قال: قلت
للسعبي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أما نزل عليه القرآن في
سائر السنة إلا في شهر رمضان؟! قال: بلى، ولكن جبريل كان يعارض محمداً
عليهما السلام بما ينزل عليه في سائر السنة في شهر رمضان^(٢)

فالشعبي هنا نزل عرضه وإحكامه في رمضان من كل سنة منزلة إنزاله
فيه. وهو قول لا يعارض رأيه المشهور بأن المراد ابتداء نزول القرآن. ولذا قال
أبو شامة "وإن ضم إلى ذلك كونه ابتداء نزوله في شهر رمضان ظهرت
قوته"^(٣) - أي قوة القول ووجه ذكر شهر رمضان ظرفاً لإنزال القرآن - قال
ابن حجر: (والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي ﷺ في رمضان بما ينزل به
عليه في طول السنة. كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن أبي
شيبه بإسناد صحيح"^(٤)

(١) تفسير الطبري (٢٥٨/٣٠).

(٢) المرشد الوجيز (٢١).

(٣) المصدر السابق (٢٤).

(٤) فتح الباري (٥/٩).

أدلتـه: ^(١)

١ - الواقع الفعلي لنزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ وأنه نزل منجماً مفرقاً حسب الحوادث والوقائع على نحو من ثلاث وعشرين سنة.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الاسراء/١٠٦). فصريح القرآن، وواقع نزوله يدل على تنجيـمه وتفريقه.

٣ - أن الآيات الثلاث الواردة في وصف نزول القرآن المراد بها ابتداء نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ وأنه ابتدأ نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة وفي هذا جمع بين هذه الآيات وقوله تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ﴾.

٤ - أن ما جاء من الآثار الدالة على نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا وإن كانت صحيحة الإسناد فهي موقوفة على ابن عباس وغير متواترة. وهذه مسألة غيبية عقدية ولا يؤخذ في الغيبيات إلا بما تواتر يقيناً في الكتاب والسنة فصحة الإسناد لا تكفي وحدها لوجوب اعتقاده. فكيف وقد نطق القرآن بخلافه! ^(٢)

^(١) راجع مناقشة هذه الأدلة في مبحث الترجيح ص (٣٨).

^(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن. د. صبحي الصالح. (٥١) وتفسير جزء "عم" للشيخ محمد.

عبده ص (١٢٢) ط. بولاق. والمدخل لدراسة القرآن الكريم (٥٢).

القول الثالث:

أنه أنزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر في كل ليلة قدر ينزل ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك على النبي ﷺ منجماً مدة بعثته عليه الصلاة والسلام.

القائلون به:

قاله ابن جريج،^(١) وأبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي،^(٢) ومقاتل ابن حيان،^(٣) وقال بنحوه مقاتل بن سليمان.^(٤)

ونسبه السيوطي للفخر الرازي^(٥) وهي نسبة غير محررة فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره هذا القول وجعله محتملاً، وتوقف في الترجيح بينه وبين القول بنزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ ثم نزوله منجماً بعد ذلك. لكنه في موضع آخر وبعد صفحة واحدة رجح القول الثاني. فقال: "... التنزيل مختص بالنزول على سبيل التدرج والإنزال مختص بما يكون النزول فيه دفعة

^(١) انظر: تفسير الطبري (٤٤٧/٣). وتفسير أبي الليث السمرقندي (٥٦٣/١) والدر المنثور للسيوطي (٤٥٧/١).

^(٢) قاله في كتابه المنهاج، وانظر: البرهان (٢٢٩، ١)، ولطائف الإشارات للقسطلاني (٢٢/١)، والمرشد الوجيز (١٩).

^(٣) انظر: الاتقان للسيوطي (١٤٨/١)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (٢١٥/١) بتحقيق د. محمد صفاء حقي. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم القرآن وعلومه وفي كلية أصول الدين.

^(٤) انظر: حاشية المرشد الوجيز بتحقيق طيار آلتي قولاج (١٨). وتفسير مقاتل بن سليمان (٢٢/١ خ)، وتفسير أبي الليث السمرقندي (٥٦٢/١).

^(٥) انظر الاتقان (١٤٨/١).

واحدة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل﴾ إذا ثبت هذا فنقول: لما كان المراد ههنا من قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. لا جرم ذكره بلفظ الإنزال دون التنزيل وهذا يدل على أن هذا القول راجح على سائر الأقوال^(١)

كما ينسب هذا القول في كثير من كتب علوم القرآن للماوردي^(٢) وهي نسبة غير محررة من حيث تحديد القول، وتعيين القائل^(٣).

وهذا القول ضعيف قال عنه ابن حجر: "وهذا أورده ابن الأنباري من طريق ضعيفة ومنقطعة أيضاً"^(٤) وقال عنه القرطبي: "قلت: وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع: "أن القرآن أنزل جملة واحدة"^(٥) وحكاية القرطبي للإجماع هنا غير مسلمة لما علمته من الأقوال في ذلك.

(١) تفسير الفخر الرازي (٨٧/٥) وانظر (٨٥/٥).

(٢) انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة (١٩، ١٨)، والبرهان (٢٢٩/١)، والانتقان (١٤٨/١)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة (٢١٥/١).

(٣) انظر الكلام على القول الرابع لاحقاً.

(٤) فتح الباري (٤/٩)، ونقله القسطلاني في لطائف الإشارات (٢٢/١).

(٥) تفسير القرطبي (٢٩٨/٢)، وانظر الانتقان (١٤٨/١).

القول الرابع:

أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة. وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة.

وهذا القول هو ما ورد في تفسير الماوردي، وقد ذكره عن ابن عباس رضي الله عنه فهو رواية عن ابن عباس، لا قول للماوردي، وعبارته في تفسيره: "قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فيه وجهان: أحدهما: يعني جبريل، أنزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي. الثاني: يعني القرآن، وفيه قولان: أحدهما ما روي عن ابن عباس قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ إلى السفارة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفارة على جبريل في عشرين ليلة ونجمه جبريل على النبي ﷺ في عشرين سنة. وكان ينزل على مواقع النجوم أرسالاً في الشهور والأيام^(١) - ثم قال - القول الثاني: أن الله تعالى ابتداءً بإنزاله في ليلة القدر. قاله الشعبي"^(٢) وبهذا النص يتبين أنه قول مغاير لما قبله، وأنه رواية عن ابن عباس وليس قولاً للماوردي إلا أن يكون نسب إليه لأنه ذكره ولم يتعقبه. ولا يكفي هذا في جعله قولاً له ولذا كانت عبارة ابن حجر أدق وأصوب حين قال: "وحكى الماوردي في تفسير ليلة القدر" - ثم ذكره وأعقبه

(١) أخرجه - بنحوه - ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس. وانظر الزيادة والإحسان

(٢) (٢١٨، ١٧٢/١).

(٣) تفسير الماوردي: النكت والعيون (٦/٣١١-) بتحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

بقوله عنه "وهذا -أيضاً- غريب"^(١) ومثل ذلك عبارة أبي شامة حيث قال:
"وذكر أبو الحسن الماوردي في تفسيره"^(٢) ثم أورده وهو قول مردود لأنه ليس
بين الله وجبريل واسطة في تلقي القرآن الكريم.

يقول ابن العربي متعقباً هذا القول: "ومن جهلة المفسرين أنهم قالوا:
إن السفارة ألقته إلى جبريل في عشرين ليلة وألقاه جبريل إلى محمد -عليهما
السلام- في عشرين سنة وهذا باطل، ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا
بين جبريل ومحمد صلى الله عليهما واسطة"^(٣)

وقد نقل أبو شامة في المرشد الوجيز عن تفسير علي بن سهل
النيسابوري عن جماعة من العلماء أن جبريل هو من أملاه على السفارة. قال:
"قال جماعة من العلماء: تنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح
المحفوظ إلى بيت، يقال له بيت العزة، فحفظه جبريل عليه السلام، وغشى
على أهل السماوات من هيئة كلام الله فمر بهم جبريل وقد أفاقوا فقالوا:
﴿ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾"^(٤) يعني القرآن وهو معنى قوله: ﴿حتى إذا فرغ من
قلوبهم﴾"^(٥) فأتى به جبريل إلى بيت العزة فأمله جبريل على السفارة الكتبة.
يعني الملائكة وهو قوله تعالى: ﴿بأيدي سفرة كرام بررة﴾ [عبس/١٥، ١٦]"^(٦).

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (٤/٩-)، ونقل القسطلاني كلام ابن حجر في كتابه لطائف
الإشارات (٢٢/١).

(٢) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٩).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/١٩٦١-) وانظر تفسير القرطبي (٢٠/١٣٠).

(٤) سورة سبأ/٢٣

(٥) سورة سبأ/٢٣

(٦) المرشد الوجيز (٢٣)، وانظر تفسير القرطبي (٢٠/١٣٠).

وذهب إلى هذا المعنى من إملاء جبريل القرآن على السفارة علم الدين السخاوي في جمال القرآن في معرض حديثه عن حكمة إنزاله جملة فقال: "...وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفارة الكرام البررة -عليهم السلام- وإنساخهم إياه، وتلاوتهم له"^(١) فيكون قولاً خامساً.

وقد حاول ابن عقيلة المكي الإجابة عما تضمنه ذلك الخبر من عدم أخذ جبريل للقرآن من الله. فقال بعد أن ساق الخبر:

"...فهذا يقضي أن جبريل ما أخذه إلا عن السفارة. قلت: لا تنافي، لاحتمال أن جبريل -عليه السلام- سمعه من الله سبحانه وتعالى كما تقدم بصفة التجلي فعلمه جميعه ثم أمره الله أن يأخذه من اللوح المحفوظ فيضعه في بيت العزة عند السفارة، ثم أمر الله سبحانه وتعالى السفارة أن تنجسه على جبريل عليه السلام في عشرين ليلة لكل سنة ليلة وإنما كان التنجيم من السفارة على جبريل لما ذكره الحكيم الترمذي: إن سر وضع القرآن في السماء الدنيا ليدخل في حدها لأنه رحمه لأهلها. فأخذ جبريل عن السفارة إشارة إلى أنه صار مخصوصاً بهم فلا يؤخذ إلا عنهم..."^(٢)

وفي كون جبريل عليه السلام يأخذ القرآن إلى السفارة ثم يأخذه منهم؛ نظر. أي نظر في الصفة لا في الصلة. فإن صلة السفارة بالقرآن ظاهرة من قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَامٍ بَرَرَةٍ﴾^(٣).

(١) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (٢٠/١).

(٢) الزيادة والإحسان لابن عقيلة (١٧٢/١) بتحقيق: د. محمد صفاء حقي.

(٣) سورة عبس/ ١٣-١٦

الترجيح:

الاتفاق حاصل والإجماع قائم على صفة نزول القرآن الكريم المباشر على الرسول ﷺ وأنه نزل منجماً مفرقاً من بعثته ﷺ إلى قرب وفاته ينزل أحياناً ابتداء بغير سبب وهو أكثر القرآن الكريم وأحياناً أخرى ينزل مرتبطاً بالأحداث والوقائع والأسباب.

وأما نزوله جملة فهو ظاهر القرآن في قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وقوله سبحانه: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ فهو أنزل في الليلة اسمها ليلة القدر، وصفتها أنها مباركة، وشهرها شهر رمضان. وهو صريح الأخبار الواردة عن ابن عباس، والتي لها حكم الرفع إلى الرسول ﷺ.

وما دام أن النزول جملة لا يعارض صراحة النزول السابق، ولا يرتبط به من خلال تلك النصوص. بل هو نزول خاص، ووجود معين حيث القرآن الكريم كلام الله ومنزل من عند الله يتلقاه جبريل عليه السلام من الله بلا واسطة عند نزوله به على الرسول ﷺ مباشرة.

وإن كان قد نزل به إلى بيت العزة فذلك نزول خاص. وأحد وجودات القرآن الكريم المتعددة. حيث يوجد القرآن الكريم في اللوح المحفوظ.^(١)

(١) عدَّ الشيخ عبد العظيم الزرقاني هذا الوجود تنزلاً. وجعله التنزل الأول والصواب أنه وجود إذا لم يرد لفظ النزول مقترناً به فلا يصح أن يعد نزولاً أو تنزلاً. وانظر: المدخل لدراسة القرآن للشيخ محمد أبو شعبة (٤٧).

يقول الإمام البيهقي - رحمه الله -:

"... إن الله تعالى نفى عن كلامه الحدث بقوله: ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾^(١) فأخبر أنه كان موجوداً مكتوباً قبل الحاجة إليه في أم الكتاب وقوله عز وجل: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾^(٢) فأخبر أن القرآن كان في اللوح المحفوظ، يريد: مكتوباً فيه، وذلك قبل الحاجة إليه، وفيه ما فيه من الأمر والنهي، والوعد، والوعيد، والخبر، والاستخبار وإذا ثبت أنه كان موجوداً قبل الحاجة إليه ثبت أنه لم يزل (كذلك)^(٣)^(٤)

وقال تعالى: ﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾^(٥) وقال سبحانه: ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾^(٦).

ويوجد - أيضاً - في الصحف المطهرة الموجودة في أيدي الكرام البررة من الملائكة كما قال تعالى: ﴿كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة﴾^(٧)

(١) الزخرف/٤

(٢) البروج/٢١، ٢٢

(٣) في الأصل المطبوع: (كان). ولم أتبين لها معنى. فلعل الصواب ما أثبتته.

(٤) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (١/٣٦١-٣٦٢).

(٥) سورة الواقعة/٧٧-٧٩

(٦) الزخرف/٤

(٧) سورة عبس/١١-١٦

ويوجد - كذلك - في بيت العزة من السماء الدنيا كما دلت على ذلك الأخبار عن ابن عباس. وجائز أن يكون الوجودان الأخيران مختلفين متغايرين وجائز أن يكونا وجوداً واحداً بأن يكون القرآن الكريم في تلك الصحف في بيت العزة وبأيدي أولئك الملائكة الكرام كما يوجد في الأرض بنزوله على الرسول ﷺ والنزول مقترن بما عدا الأول من الوجودات المذكورة.

يقول البيهقي - رحمه الله - : "وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يريد به والله أعلم إنا أسمعناه الملك، وأفهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع فيكون الملك منتقلاً به من علو إلى سفلى" (١)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد عرضٍ قرر فيه أن القرآن الكريم كلام الله منزل من عند الله كما هو صريح القرآن، قال: (فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد، ولا غيرهما، وإذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك (٢) فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيراً منه من هذا الوجه.

- ثم قال - (وهذا لا يتنافى ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفزقاً بحسب الحوادث. ولا يتنافى أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾

(١) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (١/٣٦٢).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (١٠٠/١٠٠).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهٗ لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾ وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ فِي صَاحِفٍ مَّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مَّطْهُرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَامٍ بَرَّةٍ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾. فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك وإذ كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله..^(١)

فعلى هذا الوجه لا إشكال في القول بأن للقرآن تنزليين: نزول جملة، ونزول مفرق، ولا يترتب عليه محذور. وإنما يقع المحذور ويحصل الإشكال في القول بأن جبريل يأخذ القرآن من الكتاب أو من بيت العزة عند نزوله به على الرسول ﷺ من دون سماع من الله تعالى. كما نقل أبو شامة عن الحكيم الترمذي - في معرض حديثه عن حكمة نزول القرآن جملة - قوله: "ثم أجرى من السماء الدنيا الآية بعد الآية عند نزول النواثب.." ^(٢)

أو كما قد يفهم من ظاهر بعض الآثار فمثل هذا القول، ومثل هذا الفهم للقول بأن للقرآن تنزليين؛ لا يصح. فهو أولاً لم يرد في تلك النصوص المفسرة والمفصلة لنزول القرآن جملة. وثانياً أنه يلزم منه أن جبريل عليه السلام لم يسمع القرآن من الله عز وجل وأن القرآن نزل من مخلوق لا من الله وهذا باطل.

(١) الفتاوى لابن تيمية (١٢/١٢٦-).

(٢) المرشد الوجيز (٢٦)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

"والنبي ﷺ سمعه من جبريل، وهو الذي نزل عليه به، وجبريل سمعه من الله تعالى، كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسُ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ فأخبر سبحانه أنه نزل به روح القدس وهو الروح الأمين، وهو جبريل من الله بالحق...^(١)"

وذكر ابن تيمية عن أبي حامد الاسفرائيني قوله: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال: مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعاً من الله، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ وهو الذي نتلوه نحن بالستنة، وفيما بين الدفتين، وما في صدورنا: مسموعاً، ومكتوباً، ومحفوظاً...^(٢)

وأكد شيخ الإسلام - رحمه الله - هذا المعنى في موضع آخر فقال:

"فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه سمعه منه جبريل، وبلغه عن الله إلى محمد، ومحمد سمعه من جبريل وبلغه إلى أمته، فهو كلام الله حيث سمع، وكتب، وقريء، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة/٦]"^(٣)

(١) الفتاوى (٢٩٨/١٢) باختصار.

(٢) الفتاوى (٣٠٦/١٢).

(٣) المصدر السابق (٥٦٦/١٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أيضاً (ومن قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلاً من وجوه: منها أن يقال إن الله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى بيده فبنو إسرائيل أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه هو سبحانه وتعالى فيه فإن كان محمد أخذه عن جبريل، وجبريل عن الكتاب كان بنو إسرائيل أعلى من محمد بدرجة.^(١))

وقد بسط شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذا المعنى في موضع آخر موضحاً نزول القرآن الكريم من عند الله لا من شيء من مخلوقاته مستدلاً له ومبيناً لمعناه فقال: (... وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه، وأنه نزل به جبريل منه... قال تعالى: ﴿أفغير الله أتبغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾^(٣) وروح القدس هو جبريل كما قال في الآية الأخرى ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾^(٤) وقال هنا ﴿نزله روح القدس من ربك﴾^(٥) فبين أن جبريل نزله من الله لا من هواء، ولا من لوح، ولا غير ذلك، وكذلك سائر آيات القرآن كقوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾^(٦)

(١) الفتاوى (١٢/١٢٧-)

(٢) سورة الأنعام من الآية ١١٤

(٣) سورة النحل من الآية ١٠٢

(٤) سورة الشعراء (١٩٣، ١٩٤)

(٥) سورة النحل/١٠٢

(٦) سورة الزمر/١

وقوله: ﴿حَمْدٌ * تنزيل من الرحمن الرحيم﴾^(١) وقوله: ﴿حَمْدٌ * تنزيل من الرحمن الرحيم﴾^(٢) وقوله: ﴿الْم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾^(٣) وقوله: ﴿مَا أَنبَأَ الرُّسُولَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤)

فقد بين في غير موضع أنه منزل من الله. فمن قال إنه منزل من بعض المخلوقات كاللوح، والهواء فهو مفتر على الله، مكذب لكتاب الله، متبع لغير سبيل المؤمنين، ألا ترى أن الله فرق بين ما نزل منه وما نزل من بعض المخلوقات كماطر بأن قال: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(٥) فذكر المطر في غير موضع وأخبر أنه نزل من السماء، والقرآن أخبر أنه منزل منه... ثم قال:

ولو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود أكرم على الله من أمة محمد لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح أن الله كتب لموسى التوراة بيده وأنزلها مكتوبة. فيكون بنو إسرائيل قد قرأوا الألواح التي كتبها الله. وأما المسلمون فأخذوه عن محمد ﷺ، ومحمد أخذه عن جبريل، وجبريل عن اللوح. فيكون بنو إسرائيل بمنزلة جبريل، وتكون منزلة بني إسرائيل أرفع من منزلة محمد ﷺ على قول هؤلاء الجهمية.

(١) سورة غافر (٢١)

(٢) سورة فصلت (٢١)

(٣) سورة السجدة (١)

(٤) سورة المائدة من الآية (٦٧)

(٥) سورة البقرة من الآية (٢٢).

والله سبحانه جعل من فضائل أمة محمد ﷺ أنه أنزل عليهم كتاباً لا يغسله الماء وأنه أنزله عليهم تلاوة لا كتابة وفرقه فيهم لأجل ذلك، فقال: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ الْقرآنُ جَمِيعًا وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾^(٢) ثم إن كان جبريل لم يسمعه من الله وإنما وجدته مكتوباً كانت العبارة عبارة جبريل، وكان الكلام كلام جبريل ترجم به عن الله كما يترجم عن الأخرس الذي كتب كلاماً ولم يقدر أن يتكلم به، وهذا خلاف دين المسلمين^(٣)

فقد جعل شيخ الإسلام ابن تيمية القول بأخذ جبريل للقرآن من اللوح المحفوظ أو غيره تفريراً للقول بخلق القرآن^(٤) وصرح بذلك الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - في رسالته: "الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم" وبسطه في معرض رده على قول السيوطي بأن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد ﷺ^(٥) فقال:

"هذه المقالة اغتر بها كثير من الجهلة وراجت عليهم، والسيوطي - رحمه الله - مع طول باعه، وسعة اطلاعه، وكثرة مؤلفاته؛ ليس ممن يعتمد عليه في

(١) سورة الإسراء/١٠٦

(٢) سورة الفرقان/٣٢

(٣) الفتاوى (١٢/٥١٩-٥٢٠).

(٤) انظر الفتاوى (١٢/١٢٠).

(٥) انظر الاتقان للسيوطي (١/١٥٧).

مثل هذه الأصول العظيمة. وهذه المقالة مبنية على أصل فاسد وهو القول بخلق القرآن وهذه مقالة الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم وهذه المقالة الخاطئة حقيقتها إنكار أن يكون الله متكلماً حقيقة.. ثم - قال -

والقائلون بخلق القرآن منهم من يقول خلقه في اللوح المحفوظ وأخذ جبريل ذلك المخلوق من اللوح وجاء به إلى محمد ﷺ ومنهم من يقول خلقه في جبريل، ومنهم من يقول خلقه في محمد ﷺ إلى غير ذلك من أقوالهم^(١) فهذا ما ينتهي إليه هذا القول ويؤول إليه وإن لم يكن كثير من الناقلين له يقصدونه.

ثم أبان الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - مذهب أهل السنة فقال: "فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وأن جبريل عليه السلام سمع القرآن الكريم من الله تعالى وبلغه محمد ﷺ^(٢)"

ومن تمام الترجيح توجيه أدلة القول الآخر أو الرد عليها. فيجاء على أدلة القول الثاني - على سبيل الإيجاز - بما يلي:

١ - أن صفة نزول القرآن المباشر على الرسول ﷺ وكونه نزل عليه مفرقاً، وكونه صريح قوله تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ﴾ هو محل إجماع ولا خلاف حوله ولا يعارض النزول جملة.

(١) الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم للعلامة الشيخ محمد بن

إبراهيم، ص (٢-). مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، عام ١٣٦٩هـ.

(٢) المصدر السابق. ص (٣).

٢ - القول بأن المراد بالآيات الثلاث من سور البقرة، والدخان، والقدر هو ابتداء النزول؛ هو صرف لها عن ظاهرها بغير صارف وهو يحتاج إلى تقدير محذوف. فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي ابتدأنا إنزاله. وهو يقتضي حمل القرآن على أن المراد به بعض أجزائه وأقسامه^(١) فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي أنزلنا بعضه.

٣ - أن القول بأن المسألة عقدية لا بد لها من أدلة متواترة قطعية الثبوت لإفادة العلم اليقيني ولا يكفي فيها الآثار الموقوفة؛ قول غير مسلم. واستبعاد الاستدلال بأحاديث الآحاد على العقائد غير صحيح فالعبرة بصحة الحديث فمتى صح الحديث احتج به سواء كان آحاداً أم متواتراً وسواء كان في الأحكام أم العقائد.^(٢)

وبهذا اتضح أن القول الأول أرجح وأن للقرآن نزول جملة ونزول تفريق يتلخص ذلك بما يلي:

- ١ - أنه ظاهر الآيات الثلاث في سور البقرة، والدخان، والقدر.
- ٢ - أنه صريح الآثار الواردة عن ابن عباس، والتي لها حكم الرفع إلى الرسول ﷺ.
- ٣ - عدم معارضته للقول الثاني مع توجيه أدلة هذا القول والرد عليها.
- ٤ - ضعف الأقوال الأخرى.
- ٥ - انتفاء المحذور العقدي بالتصريح بسماع جبريل للقرآن من الله عز وجل دون واسطة.

(١) انظر الفخر الرازي (٨٥/٥).

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم (٥٢).

٦ - شهرة القول وكثرة القائلين به، والمصححين له، حتى حكى القرطبي الإجماع عليه.

حكمة نزول القرآن الكريم جملة:

التمست بعض الحكم لنزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا فقل:

إن فيه تفخيم شأن المنزل وهو القرآن الكريم، وتعظيم قدر من سوف ينزل عليه وهو الرسول ﷺ، وتكريم من سوف ينزل عليهم وهم المسلمون. وذلك بإعلام سكان السموات بأن هذا القرآن آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم.^(١)

يقول السخاوي في جمال القراء:

"فإن قيل: ما في إنزاله جملة إلى سماء الدنيا؟ قلت: في ذلك تكريم بني آدم، وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله عز وجل بهم، ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة لما أنزل سورة الأنعام أن تزفوها.^(٢) وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة -عليهم السلام- وانساخهم إياه، وتلاوتهم له وفيه أيضاً إعلام عباده من الملائكة وغيرهم أنه علام الغيوب لا يغرب عنه شيء إذ كان في هذا الكتاب العزيز ذكر الأشياء قبل وقوعها"^(٣)

(١) انظر: المرشد الوجيز (٢٤).

(٢) في الخبر الوارد بذلك ضعف، راجع ص (٧٢).

(٣) جمال القراء للسخاوي (٢٠/١)، وانظر: المرشد الوجيز (٢٧) والاتقان للسيوطي (١٤٩/١)

وفيه من الحكم أيضاً تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية الأخرى وذلك بأن جمع الله له النزولين النزول جملة واحدة، والنزول مفرقاً وبذلك شارك الكتب السابقة في صفة وتميز عنها في الصفة الثانية. سواء قيل بنزول الكتب السابقة جملة أو مفرقة، ففي اجتماع الصفتين تميز للقرآن الكريم، ولمن نزل عليه، ولمن نزل إليهم.

يقول السخاوي: "وفيه أيضاً التسوية بينه وبين موسى عليه السلام في إنزال كتابه جملة، والتفضيل لمحمد ﷺ في إنزاله عليه منجماً ليحفظه. قال الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ لَنُنْشِئَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(١) وقال عز وجل: ﴿سَنَقْرَأُكَ فَلَا تَنسَى﴾^{(٢)(٣)}

(١) من الآية/٣٢، من سورة الفرقان.

(٢) سورة الأعلى/٦

(٣) جمال القراء للسخاوي (٢٠/١). وانظر ما استحسنته أبو شامة فنقله من كلام للحكيم الترمذي في تفسيره بهذا الشأن. المرشد الوجيز (٢٦).

حكم وفوائد نزول القرآن مفرقاً

الإجماع حاصل والأدلة متوافرة من القرآن والسنة والسيرة على نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ منجماً مفرقاً من حين مبعثه إلى قرب وفاته ﷺ. بما لا حاجة معه إلى التدليل عليه. وقد التمس العلماء والدارسون حكماً كثيرة، وأسراراً عديدة، ومنافع متنوعة، وفوائد متعددة لهذا التنزيل المنجم. أظهرها:

الحكمة الأولى:

تثبيت فؤاد الرسول ﷺ وهذه الحكمة الكريمة والفائدة العظيمة هي التي صرحت بها الآية الشريفة في معرض الرد على اعتراض الذين كفروا على إنزال القرآن الكريم مفرقاً: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾^(١)

ووجه هذا التثبيت أن الرسول ﷺ في بداية دعوته لقومه لقي منهم شديد العدا، وصنوف الأذى بالقول والفعل. ولقي منهم العناد والإعراض عن قبول الاسلام. فأحزنه ذلك أشد الحزن شفقة عليهم وخوفاً من حلول العذاب بهم ونزوله عليهم. كما قال سبحانه: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون. ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾^(٢)

(١) سورة الفرقان/ ٣٢

(٢) سورة الأنعام/ ٣٤، ٣٣

فكانت تنزل عليه الآيات بين فترة وأخرى تذكّره، وتبصّره، وتحدد صلته بالله، وتنهاه عن الحزن ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾^(١) ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾^(٢) أي مهلكها غماً وحرناً عليهم.

وتنهاه الآيات الكريمات عن الحزن من قولهم وفعلهم: ﴿فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾^(٣) ﴿ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً﴾^(٤). وتنزل عليه الآيات تأمره بالصبر ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً﴾^(٥). ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾^(٦) وتذكره بصبر المرسلين قبله وتدعوه للأسوة بهم ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾^(٧)

كما تقص عليه الآيات أخبار المكذبين من السابقين ومصائبهم تخويفاً للمشرّكين فليسوا خيراً من الآخرين: ﴿أفأركم خير من أولائكم أم لكم براءة في الزبر﴾^(٨) لا. فليسوا خيراً منهم ولا براءة لهم.

(١) سورة فاطر/ ٨

(٢) سورة الكهف/ ٦

(٣) سورة يس/ ٧٦

(٤) سورة يونس/ ٦٥

(٥) سورة المزمل/ ١٠

(٦) سورة النحل/ ١٢٧

(٧) سورة الأحقاف/ ٣٥

(٨) سورة القمر/ ٤٣

كما تنزل الآيات واعدة إياه بالحماية له وعصمته ممن عاداه. ومبشرة له بالنصر من الله. ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) ﴿وَيَنْصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾^(٢) ﴿كَبَّ اللَّهُ وَلَاغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣) فكلما حصلت حادثة أو وقعت مشكلة، أو أثير سؤال، نزل عليه القرآن لبيان الحق ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(٤) ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾^(٥) فكان له في قصص الأنبياء قبله أسوة، وفي مصائر المكذبين لقومه عظة، وله بذلك سلوى وبالعدة بالنصر بشرى. فثبت الله بذلك فؤاده. وشرح به صدره وأنار به قلبه والمؤمنون كذلك معه. وتلك حكمة الله وفضله.

الحكمة الثانية: تيسير حفظه وفهمه:

لا شك أن في تنزيل القرآن مفراً تيسيراً لحفظه، وفهمه، وتسهيلاً للعمل به على الرسول ﷺ نفسه وأُمَّته معه إذ لو نزل جملة واحدة لكان في ذلك مشقة كبيرة. والأمة لا تزال أمية في الجملة. ولذا فرقه الله ويسره. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾^(٦) ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٧) بل كان الرسول ﷺ من حرصه على حفظه وتبليغه

(١) سورة المائدة/٦٧

(٢) سورة الفتح/٣

(٣) سورة المجادلة/٢١

(٤) سورة الفرقان/٣٣

(٥) سورة الإسراء/١٠٥

(٦) سورة القمر/١٧

(٧) سورة الإسراء/١٠٦

يتعجل القراءة ويكاد يسبق جبريل عليه السلام عند نزوله عليه. حتى أنزل الله قوله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١) وقوله: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٢) فكان الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون القرآن خمس آيات وعشر آيات يحفظونهن ويتعلموا معانيهن والعمل بهن. فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

الحكمة الثالثة: التحدي والإعجاز

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة التي لا يزيد لها تقادم الأيام، وتوالي الأعوام إلا خلوداً وإعجازاً تحدى الله الناس أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله. فإذا عجزوا عن ذلك وقد نزل عليهم مفرقاً منجماً في فترة زمنية طويلة أتاحت لهم فيها الفرصة، وأعطوا المهلة كان هذا دليلاً على أنهم أعجز عن الإتيان بذلك لو نزل عليهم جملة واحدة. ولقالوا لو نزل مفرقاً لعارضناه فكان ذلك أدل على الإعجاز، وأقطع في المقدرة وأبلغ في الحجة.

ثم إن المشركين كانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم أسئلة مختلفة ومتعنتة ومتباعدة الزمن كقوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾^(٣) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾^(٤)

(١) سورة طه/ ١١٤

(٢) سورة القيامة ١٧-١٩

(٣) سورة الإسراء/ ٨٥

(٤) سورة الأعراف/ ١٨٧

﴿سألونك عن الأهلة﴾^(١) فكان في تنجيهم إجابات لأسئلتهم، وبيان وجه الحق لهم كما قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾^(٢) أي ولا يأتونك بمثل عجيب من أسئلتهم الباطلة إلا أتيناك بالجواب الحق وقول الصدق. وبما هو أحسن معنى من تلك الأسئلة التي هي مثل في البطلان.

الحكمة الرابعة: التدرج في التشريع

الله جل وعلا خالق البشر فهو العالم بهم وبما يصلحهم فمن جليل حكمته، وعظيم رحمته أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه فجعل رسولهم منهم، وأنزل كتابه عليهم مفرقاً. فبدأت دعوة الناس في رحلتهم من جاهليتهم إلى الإسلام بتقرير الأصل الأول توحيد الله جل وعلا وإفرازه وحده سبحانه بالعبادة دون شريك.

ثم دعوتهم إلى الإيمان بالأصول الأخرى بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب، يتبعه ثواب أو عقاب، جنة أو نار. فقد بقي القرآن يتنزل في الفترة المكية نحواً من ثلاث عشرة سنة يعالج أمراض القلوب وأدواء النفوس في أصول الإيمان وأصول الفضائل والأخلاق دون تفصيلات التكاليف والتشريعات.

حتى إذا صح الإيمان في النفوس، وقوي، وسلم الاعتقاد من الشرك والإلحاد. استعد المؤمنون لتلقي التكاليف الشرعية وفرحوا بامثال الأوامر

(١) سورة البقرة/ ١٨٩

(٢) سورة الفرقان/ ٣٣

واجتناب النواهي فسارعوا إلى امتثالها. ولو بدأت الدعوة بالأوامر والنواهي لنفر الناس وقلّ المستجيب.

وقد فهمت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- هذه الحكمة ووعتها فقالت فيما صح عنها: "... إنما نزل من القرآن أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا لا ندع الزنا أبداً..."^(١)

وأظهر الأمثلة على التدرج في التشريع تحريم الخمر، والميسر، والربا، وتشريع الجهاد.

١ - ففي تحريم الخمر. وضع أمران: تأخير التحريم، وتدرج الحكم فقد نزل قوله تعالى: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً﴾ إن في ذلك لآية لقوم يعقلون^(٢) في مقام الامتنان على الإنسان بنعم الله عليه، ويشعر الاقتصار بوصف الرزق بالحسن دون السكر. بمدح الرزق والثناء عليه وحده دون السكر فليس بحسن. فقد أوجده الله رزقاً فاتخذ الناس منه سكراً.

^(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن. (١٠٠/٦) وتحريم الخمر فيه تأخير وتدرج. أما تحريم الزنا فتأخير في التحريم فقط قال سبحانه: ﴿ولا تقرّبوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ (الإسراء/٣٢). والمراد في أول ما نزل هنا إما سورة المدثر، أو أن الكلام على معنى من أول ما نزل، دون إرادة الأولوية المطلقة.

^(٢) النحل/٦٧

ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١) فقد ذكرت الآية الكريمة بأن في الخمر شيئاً من المنافع للناس وكثيراً من الآثام والأضرار ووزانت بين تلك المنافع للخمر المتمثلة بربح تجارتها، ونشوة شربها، كما قال الشاعر الجاهلي المنخل اليشكري:^(٢)

ولقد شربت من المدا	مة بالصغير وبالكبير
فإذا انتشيت فإنني	رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإنني	رب الشويهة والبعير

وبين مضارها الكثيرة من فساد في العقل، واعتلال في الصحة، وخسارة في المال، وإثارة لبواغث الفجور والفساد. وندامة على أقوال وأفعال تصدر عند فقد الوعي. فكان في هذه الآية ذكر للخمر وتذكير بحال شاربها تقرر فيها أن إثمها أكبر من نفعها وخيار الناس وعقلاؤهم يتجنبون ما كان ضره أكبر من نفعه، فما كثر إثمه ساء فعله وحسن تركه.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٣) فكان في هذا تضيق لوقت شربها حيث تفيد الآية النهي عن شربها وقت الصلاة، أو حيث يستمر تأثيرها إلى وقت الصلاة.

(١) البقرة/٢١٩

(٢) انظر الحماسة لأبي تمام. تحقيق د. عبد الله عسيلان، ٢٧٨/١

(٣) سورة النساء/٤٣

ثم نزل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ * إنما يريد الشيطان أن
يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل
أنتم منتهون^(١)

فكان في هذا: البيان الشافي والتحريم النهائي للخمر. وهنا إشارات
قصيرة لمعان عظيمة:

١ - أن النهي عن الاجتناب أبلغ في التحريم من غيره ففيه ترك لها وابتعاد عن
دواعي شربها من أصحاب، أو مكان، أو موائد.

٢ - أنه بعد نزول هذه الآية الكريمة حدث امتثال عاجل له بالقول والفعل
فقالوا انتهينا، وامتنعوا عن شربها، وسالت بعض شوارع المدينة حين أريق
ما في أواني البيوت منها. وهذا عائد إلى أمور: من تدرج في التحريم ببيان
أن مضارها أكثر من منافعها، وتحريمها الجزئي، ثم تحريمها النهائي. مع
تأخر هذا التحريم حتى تمكن الإيمان من النفوس، وقوة الإيمان تفعل
المعجزات، وبهذا نجح الإسلام هذا النجاح الباهر في علاج هذا الداء،
واستئصال هذا الوباء من جذوره مع أن الخمر كانت شراباً مستساغاً نشأ

(١) المائدة/٩٠-٩١. والميسر: هو القمار والأنصاب: هي الأصنام، وقيل حجارة تنصب يذبحون
لها أو عليها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ذَبَحْ عَلَى النَّصَبِ﴾ (المائدة/٣)، والأزلام قداح ثلاثة
يكتبون على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثاني: نهاني ربي، والثالث: غفل لا شيء عليه. فإذا
أراد أحدهم فعل أمر طلب علم ما قسم له عن طريق هذه القداح. فإن خرج له الأول مضى
على ما نوى، وإن خرج الثاني ترك، وإن خرج الثالث: أعاد الأمر.
انظر: تفسير الماوردي. بتحقيق الباحث (٣/١١٢٠، ١٢٠٣).

عليه الصغير، وهرم عليه الكبير وألفه المجتمع. بينما نجد العجز الواضح والفشل الكبير في علاج وباء المخدرات الذي انتشر في المجتمعات المعاصرة رغم ما يبذل من جهد وينفق من مال من كل الدول كبيرها والصغير.

إنه حري بالدول الإسلامية أن تعي الدرس وتعرف خصوصيات مجتمعاتها وما يفعله الإيمان في إصلاح الشعوب، وحمايتها، وعلاج مشكلاتها.

٢ - الميسر: وهو القمار. فقد بدئ تحريمه بجعله كالخمر في الإثم، وبيان أن إثمه أكبر من نفعه كما قال سبحانه: ﴿سَأْلَوْنَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١) ثم تحريمه بالكلية تحريماً قاطعاً مع الخمر فهما رجس من عمل الشيطان يوقعان العداوة والبغضاء ينبغي الإقلاع عنهما، واجتنابهما، والابتعاد عن ساحتهما وحظيرة تعاطيهما.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾^(٢)

(١) سورة البقرة/٢١٩

(٢) سورة المائدة/٩٠-٩١

٣ - الربا: فقد حرم منه أولاً الأضعاف المضاعفة وهو الربا الفاحش. قال تعالى: ﴿رَبَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١). ثم حرم بجملة قليلة وكثيره، يسيره ومضاعفه، بقوله سبحانه: ﴿رَبَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْرَبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢).

وفي هذه الآية الكريمة تهريب شديد لمتعاطيه بإعلان الحرب عليه، وما أخسر من حارب الله ورسوله، وما أضعف عقله، وأعظم جهله، فقد قضى الله أمره، وأنزل شرعه ﴿فَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٣) فلينتهي المرابون، وليختفي المجاهرون.

٤ - الجهاد: مر تشريع الجهاد في الإسلام بمراحل مختلفة: من نهي عنه، وإذن فيه، وأمر به وتأكيد عليه. وذلك مراعاة لحاجة الدعوة، وحالة المسلمين في الضعف والقوة، والعجز والقدرة.

أ - المرحلة الأولى: مرحلة النهي عن القتال فقد كان القتال قبل الهجرة محظوراً، وكان المسلمون ممنوعين منه. فحين قال الصحابة لرسول الله ﷺ بادئ الأمر كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة. فقال

(١) سورة آل عمران/ ١٣٠

(٢) سورة البقرة/ ٢٧٨-٢٧٩

(٣) سورة البقرة/ ٢٧٥

العقبة رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل منى فيقتلوهم، قال: "إني لم أؤمر بذلك" ^(١)

يقول ابن هشام: "كان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله، والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل..." ^(٢)

وهذا ما جاءت آيات كثيرة تدل عليه، وتدعو إليه كقوله سبحانه:

١ - ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عدواة كأنه ولي حميم﴾ ^(٣)

٢ - ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ ^(٤)

٣ - ﴿فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾ ^(٥)

٢ - المرحلة الثانية: الإذن بالقتال من غير فرض. قال سبحانه: ﴿أذن للذين

يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير

حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع

وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً * ولينصرون الله من ينصره إن الله

لقوي عزيز﴾ ^(٦)

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٤٨/١)، والسيرة النبوية للذهبي (٢٠٢). والرحيق المختوم (١٥٣) ط، ١٤١٥هـ.

(٢) سيرة ابن هشام (٤٦٧/١) وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤٩/٢٨).

(٣) سورة فصلت/ ٣٤

(٤) سورة المائدة/ ١٣

(٥) سورة البقرة/ ١٠٩

(٦) سورة الحج/ ٣٩-٤٠

٣ - المرحلة الثالثة: الأمر بالقتال والتأكيد عليه

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١). وقال جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ * وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ * وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وهنا حكمة أخرى، وفائدة كبرى، من تنجيم القرآن الكريم قد تدرج فيما سبق أو تفصل عنه. وهي الإجمال ثم التفصيل. فمن الواضح أن الآيات والصور المكية عنيت بأصول الإيمان. وأصول العبادات والمعاملات وترك التفصيل للآيات المدنية النازلة لاحقاً فكانت معظم آيات الأحكام التشريعية مدنية.

الحكمة الخامسة: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم من عند الله العزيز الحكيم.

فتزول القرآن الكريم مفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة تنزل الآية أو الآيات على فترات مختلفة ثم بعد نزول آخر آية منه يجده القارئ محكم التنزيل، متناسق الآيات والصور، لا تنافر فيه، ولا تعارض في معانيه، كأنما نزل جملة

(١) سورة البقرة/ ١٩٠

(٢) سورة التوبة/ ٣٦

(٣) سورة البقرة/ ٢١٦

واحدة. وما ذاك إلا لأنه: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم

خير﴾^(١)

فكان هذا دليلاً محسوساً على أنه ليس من كلام البشر لأنه لو كان من كلامهم قيل في مناسبات مختلفة، وأوقات متباعدة، وأحداث متعاقبة؛ لوقع فيه اختلاف واضح وتباين كبير بين أوله وآخره في أسلوبه، وترابطه، ومعانيه. ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٢) فكان تنجيماً دليلاً على تنزيله ممن يعلم السر وأخفى.

وقت نزول القرآن الكريم

أكثر نزول القرآن الكريم نهاراً حضراً، وقد نزل يسير منه في السفر وقليل منه في الليل، وقد تتبع العلماء ذلك فذكروا ما وقفوا عليه منه، فمن ذلك:

ما نزل في الثلاثة الذين خلفوا في قوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار...﴾ (التوبة/١١٨). ففي الصحيح من حديث كعب فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل.^(٣)

(١) هود/١

(٢) النساء/٨٢

(٣) من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى لقد تاب الله على النبي... ٢٠٩/٦، وفي المغازي باب حديث كعب بن مالك، ١٣٠/٥ وأخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب، ٢١٢٠/٤ رقم ٢٧٦٩

ومنه سورة "المنافقون" فقد أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلاً في غزوة تبوك.^(١) وذكر ابن إسحاق أنها نزلت في غزوة بني المصطلق.^(٢)

ومنه سورتا المعوذتين فعن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: "أنزلت الليلة آيات لم ير مثلهن: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس"^(٣)

ومنه قوله تعالى في سورة المائدة (٦٧): ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله"^(٤)

قال ابن عقيلة: وكان ذلك في غزوة ذات الرقاع.^(٥) وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت. فترك الحرس.^(٦) فدلّت هاتان الروايتان أنها نزلت في السفر ليلاً.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة المنافقين، (٨٩/٥) رقم ٣٣٦٩ وقال حديث حسن صحيح.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٣/٣٠٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٥٨/١) حديث رقم ٨١٤.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير باب ومن سورة المائدة (٢٥١/٥) حديث رقم ٣٠٤٦، وقال عنه: حديث غريب. وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي (٣١٣/٢) وذكر نحوه الواحدي في أسباب النزول (١٩٥-).

(٥) انظر الزيادة والاحسان (٣٢٦/١)، وقد أخرجه ابن أبي حاتم عن جابر كذلك (٣١٨/١).

(٦) ذكره السيوطي في الاتقان (٨٣/١).

وقد ذكر أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٦) في كتابه التنبية على فضل علوم القرآن من وجوه شرف علوم القرآن؛ معرفة تفصيل نزول القرآن الكريم زماناً، ومكاناً، وأوصافاً. فقال:

"من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدنية، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكّي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكّي، وما نزل بالبحفة، وما نزل بيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما اختلف فيه فقال بعضهم: مدني، وقال بعضهم: مكّي، فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها، ويميز بينها، لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى"^(١)

وقد فسرت وفصلت هذه الأنواع مع التمثيل لها بما وردت به الروايات في البرهان للزركشي، والاتقان للسيوطي، والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكّي مما لا حاجة معه لزيادة الكلام في بسطه ونقله.^(٢)

(١) التنبية على فضل علوم القرآن. لأبي القاسم النيسابوري. منشور في مجلة المورد العراقية. بتحقيق محمد عبد الكريم كاظم. عدد (٤)، مجلد (١٧)، عام ١٤٠٩ هـ. الصفحات (٣٠٥-٣٢٢).

(٢) انظر البرهان للزركشي (١/١٩٢)، والاتقان للسيوطي (١/٣٦-) والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكّي (١/٢٦٣).

وما ذكره النيسابوري هنا من وجوب معرفة هذه الأنواع والتمييز بينها وجعل ذلك شرطاً للتفسير لا يسلم له وفيه نظر. فليس كله مما له أثر في التفسير.

مدة نزول القرآن الكريم

اختلف العلماء في تحديد مدة نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ على أقوال:

١ - أنها ثمانني عشرة سنة. روي هذا القول غير المشتهر عن الحسن. وأنه كان يقول ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثمانني عشرة سنة. وأنه أنزل على الرسول ﷺ ثمانني سنين في مكة قبل الهجرة وعشر سنين بعدها.^(١)

وهو قول ضعيف ينتج عنه أن الرسول ﷺ توفي عن ثمان وخمسين سنة وهو ما لم يقل به أحد. ولذا قال ابن عطية عن هذا القول: "وهذا قول مختل لا يصح عن الحسن والله أعلم"^(٢)

٢ - أنها عشرون سنة: روي عن ابن عباس، وعكرمة، والشعبي وقتادة، واختاره ابن جزى الكلبي.^(٣)

٣ - أنها ثلاث وعشرون سنة. وهو قول الجمهور.^(٤)

(١) انظر تفسير ابن جرير (١٧٩/١٥ - ١٨٠)، وابن عطية (٣٧٥/١٠) وابن الجوزي (٥/١)، وأبي حيان (٨٧/٦)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٧٤).

(٢) تفسير ابن عطية (٣٥٧/١٠).

(٣) تفسير ابن جزى الكلبي (٦/١، ٤/٢١٠) وانظر المصادر السابقة.

(٤) انظر البرهان (٢٢٨/١)، والاتقان ١٤٦/١ وانظر علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، رسالة دكتوراه، د. محمد صفاء حقي، ٤١٢/٢.

٤ - أنها خمس وعشرون سنة. وهو قول من يذهب إلى أن الرسول ﷺ عاش خمساً وستين سنة خلافاً للمشهور.^(١)

ومنشأ هذا الاختلاف هو الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة فقليل: ثمان، وقيل عشر، وقيل ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة سنة. بناء على اختلاف الروايات في ذلك. فإذا أضيف إليها عشر سنين وهي مدة إقامته ﷺ بالمدينة بعد الهجرة المتفق عليها كما نص على ذلك ابن كثير حيث قال: "أما إقامته بالمدينة عشرًا فهذا مما لا خلاف فيه..."^(٢) فينتج عن ذلك الأقوال السابقة.

كما يعود هذا الاختلاف -أيضاً- إلى اختلاف الاعتبار الذي يبدأ منه حساب تلك المدة، هل هو من بداية الرؤيا الصادقة، أو من البعثة التي تلاها فتور في نزول الوحي، أو من الرسالة وتتابع الوحي بعد ذلك.

يضاف إلى ذلك التسامح والتساهل في تحديد الوقت، وجبر الكسور في حساب السنوات. اختصاراً وعادة يقول ابن كثير: "إن العرب كثيراً ما يحذفون الكسور من كلامهم"^(٣) وكذلك الخلاف في عمره عليه الصلاة والسلام. حيث قيل إنه ستون سنة. وقيل ثلاث وستون، وقيل خمس وستون.

والمعتمد كما يقول ابن حجر أنه ﷺ عاش ثلاثاً وستين سنة وأن ما ورد مما يخالف ذلك فهو محمول إما على إلغاء الكسر في السنين أو جبر الكسر

(١) المرجع السابق.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير. بتحقيق: ابن إسحاق الحويني الأثري (٣٦).

(٣) فضائل القرآن لابن كثير (٣٦).

في الشهور.^(١) وأضاف ابن كثير معنى جديداً في الجمع وهو: اعتبار قرن جبريل بالرسول ﷺ في نزول الوحي حيث روي أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء الأمر. يلقي إليه الكلمة والشيء ثم قرن به جبريل.^(٢)

كما أنه بعث ﷺ على رأس أربعين سنة. كما قال النووي: "واتفقوا أنه ﷺ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وبمكة قبل النبوة أربعين سنة وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة. والصحيح أنها ثلاث عشرة فيكون عمره ثلاثاً وستين وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء"^(٣).

وقد حاول الشيخ محمد الخضري اختيار تحديد دقيق للمدة فذكر أن مدة مقامه ﷺ بمكة هي اثنتا عشرة سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة عشر يوماً من يوم ١٧ رمضان سنة ٤١ من ميلاده الشريف إلى أول ربيع الأول سنة ٥٤ منه.

ومدة إقامته بالمدينة بعد الهجرة هي تسع سنوات، وتسعة أشهر، وتسعة أيام من أول ربيع الأول سنة ٤٥ إلى تاسع ذي الحجة سنة ٦٣ من ميلاده الشريف، وهي سنة عشر من هجرته ﷺ.^(٤) فصارت المدة بين مبتدأ التنزيل ومختمه اثنتان وعشرون سنة وشهران واثنا عشر يوماً.^(٥)

(١) انظر فتح الباري (٤/٩).

(٢) فضائل القرآن الكريم لابن كثير (٣٦).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٩٩/١٥)، وانظر الزيادة والإحسان (٢٥٢/١).

(٤) انظر تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري بك. ص ٨ وتاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني ص ٧١. فقد ذكر تحديد الفترة المكية كما هنا.

(٥) انظر تاريخ التشريع (٥).

وهذا التحديد هو ما أشار إليه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان حيث ذكره وتعقبه فقال: "لكن هذا التحقيق لا يزال في حاجة إلى تحقیقات ثلاث: ذلك لأنه أهمل من حسابه باكورة الوحي إليه ﷺ عن طريق الرؤيا الصادقة ستة أشهر على أنها ثابتة في الصحيح. ثم جرى فيه على أنه ابتداء نزول القرآن كان ليلة السابع عشر من رمضان وهي ليلة القدر على بعض الآراء، غير أنه يخالف المشهور الذي يؤيده الصحيح.

ثم ذهب فيه مذهب القائلين بأن آخر ما نزل من القرآن هو آية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾^(١) وذلك في تاسع ذي الحجة سنة عشر من الهجرة، وسترى في مبحث آخر ما نزل من القرآن أن هذا المذهب غير صحيح^(٢)^(٣)

ومما يعترض به على هذا التحديد أن يوم الفرقان ١٧ رمضان هو يوم الجمعة يقول الخضري عن يوم الفرقان، ويوم ابتداء إنزال القرآن الكريم (... فهما متحدان في الوصف، وهو أنهما جميعاً يوافقان الجمعة ١٧ رمضان وإن لم يكونا في سنة واحدة).^(٤) والقول بأن يوم ابتداء إنزال القرآن يوافق يوم الجمعة معارض لما ثبت في صحيح مسلم عن يوم الاثنين وقوله ﷺ حين سئل عنه: "ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت -أو أنزل علي فيه."^(٥)

(١) سورة المائدة/٣

(٢) الراجع في آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ توفى كل نفس ما كسبت

وهم لا يظلمون﴾ (البقرة/٢٨١).

(٣) مناهل العرفان (٤٥/١).

(٤) تاريخ التشريع ص (٧٠٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل (٨١٩/٢) رقم (١١٦٢).

كما حدد الشيخ محمد محمد أبو شهبة مدة نزول القرآن الكريم بأنها اثنتان وعشرون سنة وخمسة أشهر، ونصف الشهر. راعى في هذا التحديد ما ذهب إليه الجمهور من أنه ﷺ ولد في الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل، وتوفي في الثاني عشر أيضاً من ربيع الأول عام إحدى عشرة من الهجرة.

وبين ذلك بأن النبي ﷺ نبي على رأس الأربعين من ميلاده الشريف وذلك من الثاني عشر من ربيع الأول وقد بدئ الوحي إليه بالرؤيا الصادقة ومكث على ذلك إلى السابع عشر من رمضان وجملة ذلك ستة أشهر وخمسة أيام حين نزل عليه صدر سورة إقرأ. وآخر آية نزلت عليه من القرآن هي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ..﴾ الآية^(١) وقد روي أن ذلك قبل وفاة النبي ﷺ بتسعة أيام، وقيل بأحد عشر يوماً، وقيل بواحد وعشرين يوماً فلو أخذنا بالمتوسط تكون جملة المدة التي لم ينزل فيها القرآن ستة أشهر وستة عشر يوماً. وجملة عمر ﷺ ثلاث وستون عاماً، ومدة نبوته ثلاث وعشرون سنة فإذا أنقصنا منها ستة أشهر وستة عشر يوماً يكون الباقي اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً.

ثم قال أبو شهبة بعد هذا معبراً عن فرحه به: والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ثم انتقد حساب الخضري السابق بأنه بني على أن آخر آية نزلت هي قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم

دينكم..﴾ الآية^(٢) ^(٣)

(١) سورة البقرة من الآية ٢٨١.

(٢) المائدة/٣

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم. (٥٦،٥٥).

وما ذكره أبو شهبه - رحمه الله - من تحديد فيه نظر كذلك.. إذ جعل يوم السابع عشر من رمضان بداية إنزال القرآن على الرسول ﷺ وقد تقدم أنه يوافق يوم الجمعة وأنه بهذا يعارض ما ثبت في الصحيح.

وكذلك أنه بناه على الأخذ بأحد الأقوال في مدة بقاء الرسول ﷺ بعد آخر آية نزلت عليه دون دراسة ترجيحية له. فيبقى ملخص القول أن المدة نحواً من ثلاث وعشرين سنة تقريباً.

يوم إنزال القرآن:

الصحيح أن أول يوم أنزل فيه القرآن هو يوم الاثنين. لحديث أبي قتادة الأنصاري الصحيح، وفيه: وسئل عن صوم يوم الاثنين. قال: "ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت -أو أنزل عليّ فيه" (١) وفي رواية أخرى: ..فقال: "فيه ولدت، وفيه أنزل عليّ" (٢) وأخرج الواحدي عن أبي قتادة أن رجلاً قال لرسول الله: أرأيت صوم يوم الاثنين: "قال فيه أنزل عليّ القرآن" (٣) وقد ذكر ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس قال: نبيء نبيكم ﷺ يوم الاثنين. (٤) وعن أنس قال: استنبأ النبي ﷺ يوم الاثنين. (٥)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل. كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام،

حديث ١١٦٢، (١٩/٢).

(٢) صحيح مسلم (٨٢٠/٢).

(٣) أسباب النزول للواحدي. (١٣-١٤).

(٤) طبقات ابن سعد (١٩٣/١).

(٥) طبقات ابن سعد (١٩٤/١).

قال الواحدي: وأول يوم أنزل القرآن فيه يوم الإثنين.^(١) وذكر البلقيني أنه يوم الإثنين نهراً.^(٢)

ولذا قال ابن القيم: ولا خلاف أن مبعثه ﷺ كان يوم الإثنين.^(٣) وقال ابن كثير: وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء أنه - عليه الصلاة والسلام - أوحى إليه يوم الإثنين. وهذا ما لا خلاف فيه بينهم.^(٤)

شهر إنزال القرآن الكريم:

اختلف في شهر إنزال القرآن على الرسول ﷺ على أقوال:
الأول: أنه شهر رجب، في السابع عشر منه. وهو قول غير مشهور لكنه مذكور.^(٥)

الثاني: أنه في شهر ربيع الأول. قيل في أوله، والمشهور في ثامنه سنة إحدى وأربعين من عام الفيل. وقد جعله ابن القيم قول الأكثرين.^(٦)

(١) أسباب النزول للواحدي. تحقيق السيد أحمد صقر (١٣).

(٢) انظر فتح الباري (٣٥٦/١٢).

(٣) زاد المعاد (١٨/١).

(٤) السيرة النبوية لابن كثير (٣٩٢/١).

(٥) انظر: فتح الباري - كتاب التعبير (٣٥٧/١٢). وزاد المعاد لابن القيم (١٨/١). والزيادة

والإحسان لابن عقيلة المكي (٢٥٠/١).

(٦) انظر المصادر السابقة.

وقيل في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الإثنين كما روي عن جابر وابن عباس أنهما قالاً: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات.^(١)

وعن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين في ربيع الأول، وأنزلت عليه النبوة يوم الإثنين في أول شهر ربيع الأول وأنزلت عليه البقرة في ربيع الأول.^(٢)

الثالث: أنه في شهر رمضان، قال الواحدي: وأول شهر أنزل فيه القرآن شهر رمضان،^(٣) قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٤) وجعله ابن كثير المشهور. فقال: والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان كما نص على ذلك عبيد ابن عمير، ومحمد بن إسحاق وغيرهما.^(٥)

قال ابن القيم: وإليه ذهب جماعة منهم يحيى الصرصري حيث يقول في نونيته: وأتت عليه أربعون فأشرق شمس النبوة منه في رمضان^(٦)

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير (١/١٩٩)، و(١/٣٩٢). وقال: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن ميناء عنهما.

(٢) ذكره ابن كثير في السيرة النبوية (١/٢٠٠) بسنده وقال عنه: وهذا غريب جداً، رواه ابن عساكر.

(٣) أسباب النزول للواحدي (١٤).

(٤) سورة البقرة/ ١٨٥

(٥) انظر السيرة النبوية (١/٣٩٢).

(٦) زاد المعاد (١/١٨).

وقال ابن إسحاق: ابتدئ رسول الله ﷺ بالتزليل في رمضان - ثم استدل له فقال - قال الله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾^(٣) واختلف في أي الأوقات من رمضان: ف قيل في سابعه،^(٤) وقيل في الرابع عشر.^(٥) وقيل في السابع عشر منه. فقد أخرج ابن سعد عن الواقدي عن أبي جعفر الباقر، قال نزل الملك على رسول الله ﷺ بجاء يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان. ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة. وجبريل الذي كان ينزل عليه بالوحي.^(٦)

وقيل في الرابع والعشرين من رمضان، قال أبو عبد الله الحلي: "يريد ليلة خمس وعشرين"^(٧) وقال ابن كثير: "ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين"^(٨) واستدل لهذا بحديث واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: "أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة

(١) سورة البقرة/ ١٨٥

(٢) سورة القدر/ ١

(٣) سورة الدخان/ ٣ . انظر: مختصر السيرة لابن هشام (٣٩) والسيرة النبوية للذهبي (٧٥).

(٤) انظر فتح الباري (٣٥٦/١٢).

(٥) المصدر السابق.

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات بسنده (١٩٤/١). وانظر: السيرة النبوية لابن كثير (٣٩٢/١) والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي (٢٥٠/١ - ٢٥١). وانظر: تاريخ التشريع للخضري (٧٦). فقد ذكر هذا التاريخ لكن جعله يوم الجمعة. وراجع ص (٦٠).

(٧) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٣).

(٨) السيرة النبوية لابن كثير (٣٩٢/١).

من رمضان وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان".^(١)

وجعله السخاوي في النزول المباشر على الرسول ﷺ فقال بعد أن ساقه بنحوه: "فهذا الإنزال يريد به - صلى الله عليه وسلم أول نزول القرآن عليه - ثم قال: وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يشمل الإنزالين"^(٢)

أما البيهقي فقد حمل حديث واثلة بن الأسقع على أن المراد به الإنزال جملة فقال: "قلت: وإنما أراد - والله أعلم - نزول الملك بالقرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا"^(٣)

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٠٧/٤) وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٦٨) وأخرجه ابن الضريس بسند عن أبي الخلد (٧٤) بزيادة في آخره. وابن جرير في تفسيره (١٤٥/٢). والواحدي في أسباب النزول (١٤). والطبراني في المعجم الكبير (٧٥/٢٢) حديث (١٨٥). غير أنه وقع في النسخة: "وأنزل القرآن لأربع عشرة" بدلاً من أربع وعشرين. فلعله خطأ. وذكره الألباني في الصحيحة رقم (١٥٧٥) وقال عنه: "هذا إسناد حسن، رجاله ثقات، وفي القطان كلام يسير، وله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعاً نحوه، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٦٧، ١)، وقال عنه: خالفه عبيد الله بن أبي حميد وليس بالقوي فرواه عن أبي المليح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه من قوله. ورواه إبراهيم بن طهمان عن قتادة من قوله لم يجاوز به إلا أنه قال: لاثنتي عشرة" وكذلك وجده جرير بن حازم في كتاب أبي قلابة دون ذكر صحف إبراهيم. وانظر السيرة النبوية لابن كثير (٣٩٣/١). وتفسير الماوردي بتحقيق الباحث (٥٦٩/٢) والمرشد الوجيز (١٢) والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (٢٥٢/١).

(٢) جمال القراء (٢٢/١-).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٣٦٧/١)، والمرشد الوجيز (١٤).

ويشهد لهذا المعنى ما رواه ابن أبي شيبة عن أبي قلابة قال: " .. أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان.." (١)

وقد ذهب صفى الرحمن المباركفوري في كتابه الرحيق المختوم إلى تحديد دقيق، ورأى جديد وهو أن يوم نزول القرآن وشهره كان يوم الإثنين لإحدى وعشرين مضت من رمضان ليلاً. الموافق عشرة أغسطس سنة ٦١٠م، وكان عمره - ﷺ - إذ ذاك أربعون سنة قمرية وستة أشهر و١٢ يوماً، وذلك نحو ٣٩ سنة شمسية وثلاثة أشهر و٢٢ يوماً. وهو قول لم يقل به أحد قبله وقد بناه على ما يلي:

١ - كونه يوم الإثنين بناء على ما صح من حديث أبي قتادة الأنصاري وفيه: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل عليّ فيه، وهو ما اتفق عليه أهل السير.

٢ - وكونه شهر رمضان عملاً بالآيات الثلاث في سور: البقرة، الدخان، والقدر. وهو شهر الجوار والتحنث بحراء.

٣ - وكونه لإحدى وعشرين مضت من رمضان. بناء على أن حساب التقويم العلمي لذلك الشهر في تلك السنة لا يوافق يوم الإثنين إلا يوم السابع، والرابع عشر، والحادي والعشرين، والثامن والعشرين. ولأن ليلة القدر إنما تقع في الوتر من ليالي العشر من شهر رمضان، تعين كون ذلك يوم واحد وعشرين. (٢)

(١) المرشد الوجيز (١٣).

(٢) انظر: الرحيق المختوم ص(٦٦) وحاشيته (٢).

وهذا جهد طيب ومنهج جيد في التحديد إلا أنه يرد عليه ما يلي:

١ - أن كون ذلك يوم الإثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلاً.
يجعل تلك الليلة هي ليلة الثلاثاء اثنتين وعشرين فلا تصير بذلك من ليالي
الوتر التي تتحرى بها ليلة القدر.^(١)

٢ - أن الاستدلال بالآيات الثلاث في سور: البقرة، والدخان، والقدر. على
ابتداء النزول ليس صريحاً، وقد فسرت بأن المراد بها النزول جملة إلى
السماء الدنيا. وهو ما يتفق مع الروايات الأخرى الواردة عن ابن عباس
وغیره في ذلك.

٣ - أن حمل تلك الآيات على ابتداء النزول يعني أن ليلة القدر صارت
معروفة على وجه اليقين لأن معرفة ابتداء نزول القرآن الكريم على وجه
التحديد الدقيق أمر ميسور للصحابة رضي الله عنهم معرفته والتحقق منه لو تعلق به
أمر تعيين ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. ومعلوم أنها قد أخفيت
عينها. فاختلف في تحديدها. وإذا سلم هذا الإيراد كان دليلاً على نزول
القرآن في غير شهر رمضان. وكان ترجيحاً للقول بنزوله في شهر ربيع
الأول.

وقد رجح ابن حجر كون ابتداء النزول في رمضان فقال: "قلت:
ورمضان هو الراجح لما تقدم من أنه الشهر الذي جاء فيه الرسول صلی اللہ علیہ وسلم حراء
فجاءه الملك وعلى هذا يكون سنة حينئذٍ أربعين سنة وستة أشهر"^(٢)

(١) يصدق تعليله على ما ذكره من موافقة يوم الإثنين لثمان وعشرين من رمضان حيث تكون
ليلة تسع وعشرين. وهي من ليالي الوتر، ولكنه لم يذكره ولم يختره.

(٢) فتح الباري، كتاب التعبير (١٢/٣٥٦).

كما رجح في موضع آخر أنه في آخر شهر رمضان ولم يحدده بتاريخ فقال: "... فيستفاد من ذلك أن يكون آخر شهر رمضان، وهو قول آخر يضاف لما تقدم ولعله أرجحها".^(١) وجعل ابن حجر شهر رمضان زماناً لنزول القرآن جملة، ونزوله مفزاً أيضاً، فقال عن حديث مدارس جبريل عليه السلام للرسول ﷺ للقرآن "... وفيه إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان لأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت من حديث ابن عباس.."^(٢)

وذكر ابن عرفة في تفسيره مثل هذا التوجيه بعد أن ساق بعض الأقوال في معنى قوله تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ قال: "قال الضحاك: أنزل القرآن في فرضه وتعظيمه، والحض عليه. وقيل: الذي أنزل القرآن فيه. قال ابن عرفة: ولا يبعد أن يراد الأمران فيكون أنزل القرآن فيه تعظيماً له وتشريفاً... وقيل: أنزل فيه القرآن جملة إلى سماء الدنيا. قال ابن عرفة فالقرآن على هذا: الاسم لكل وعلى القول الثاني: بأنه أنزل فيه بعضه يكون القرآن اسم جنس يصدق على القليل والكثير"^(٣)

وإلى مثل ذلك ذهب أبو شامة في تعليقه على ما نسب للشعبي من أن الله عز وجل ابتداءً أنزل القرآن في ليلة القدر فقال: "هو إشارة إلى ابتداء إنزال

(١) فتح الباري كتاب التعبير (٣٥٧/١٢).

(٢) فتح الباري، كتاب بدء الوحي (٣١/١).

(٣) تفسير ابن عرفة برواية تلميذه الأبي (٥٣٩/٢).

القرآن على النبي ﷺ فإن ذلك كان وهو متحنث بحراء في شهر رمضان — ثم قال - وقد بينت ذلك في شرح حديث المبعث وغيره.^(١)

وهذا وإن كان الأمر فيه كذلك إلا أن تفسير الآية به بعيد مع ما قد صح من الآثار عن ابن عباس: أنه نزل جملة إلى السماء الدنيا^(٢) ففرق أبو شامة بهذا بين جعل رمضان شهر نزول القرآن والاستدلال له بالآيات. وقال في موضع آخر مبيناً صلة شهر رمضان بالقرآن: "...ويجوز أن يكون قوله: ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إشارة إلى كل ذلك، وهو كونه أنزل جملة إلى السماء الدنيا، وأول نزوله إلى الأرض، وعرضه وإحكامه في شهر رمضان. فقويت ملابسة شهر رمضان للقرآن: إنزالاً جملة وتفصيلاً وعرضاً وإحكاماً فلم يكن شيء من الأزمان تحقق له من الظرفية للقرآن ما تحقق لشهر رمضان فلمجموع هذه المعاني قيل: ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾"^(٣)

مقدار التنزيل

ثبت نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ منجماً مفرقاً ابتداءً أو حسب الحاجة والوقائع. وغالب القرآن الكريم نزل آيات مفرقات وبعضه نزل سوراً كاملة، ونزلت سورتان من قصار السور معاً هما المعوذتان. فأول ما نزل من القرآن الكريم الآيات الخمس الأولى من سورة العلق.

(١) كتاب للمؤلف سماه في كتابه الذيل على الروضتين ص (٣٩): شرح الحديث المقتفى في مبعث

النبي المصطفى". انظر المرشد الوجيز (٢٠) حاشية (٢).

(٢) المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي (٢٠).

(٣) المصدر السابق (٢٤).

وهي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم نزل باقيها بعد
نزول سورة المدثر.

كما نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة الضحى إلى قوله: ﴿وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَى﴾ وصح نزول عشر آيات من قصة الإفك جملة واحدة من
سورة النور. وصح كذلك نزول عشر آيات جملة من أول سورة المؤمنين.
ونزلت آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة/٣) في عرفة في يوم الجمعة.

وصح نزول قوله ﴿غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ﴾ وحدها، وهي بعض آية. فقد
أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي
الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها فجاء ابن أم مكتوم
فشكا ضرارته: فأنزل الله: ﴿غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ﴾^(٢)

وكذا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِنْ
اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣) نزلت بعد نزول أول الآية، فهي بعض آية.^(٤)

(١) النساء/٩٥

(٢) أخرجه البخاري. كتاب التفسير، باب ١٨ لا يتسوي القاعدون من المؤمنين.. (٥/١٨٢-)
وانظر: سنن أبي داود (٣/١٧) والمرشد الوجيز (٣٤-). وأسباب النزول للواحدي (١٦٨-)
وانظر الاتفاق (١/١٥٥).

(٣) التوبة/٢٨

(٤) انظر تفسير الطبري (١٤/١٩٤). والبيان للشيخ طاهر الجزائري (٥٩).

وقد تنزل السورة كاملة ومن ذلك سورة الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، والمسد، والنصر، والمرسلات، والصف.. وغيرها.^(١)

وأما ما ورد من نزول سورة الأنعام جملة يشيعها سبعون ألف ملك.. فلم يخل من خلاف. فقد قال ابن الصلاح في فتاويه: "الحديث الوارد في أنها نزلت جملة رويناه من طريق أبي بن كعب وفي إسناده ضعف، ولم نر له إسناداً صحيحاً. وقد روي ما يخالفه فروي أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزلت آيات منها بالمدينة اختلفوا في عددها، فقليل ثلاث، وقيل: ست، وقيل غير ذلك."^(٢)

وقد قال ابن عقيلة المكي في توجيه هذا الاعتراض. بأن نزول غالبها في حكم نزولها كلها. قال: "أقول: من قال: إن السورة نزلت كلها فإنما يعني - والله أعلم - الغالب، ولا يضر أن ينزل بعضها بعد ذلك وتامها. فإن القرآن غالبه إنما ينزل مفرقاً آيات. ومثل هذه السورة العظيمة إذا نزل غالبها فيحكم لها بالكل، فإنه نادر الوقوع"^(٣)

وقد نزلت سورتا المعوذتين معاً بسبب سحر لبيد بن الأعصم اليهودي لرسول الله ﷺ فأُنزل الله جل شأنه المعوذتين فقرأهما وتعوذ بهما فانحل السحر.^(٤)

فتبين مما سبق أن القرآن نزل مفرقاً: الآية، والآيتان، والخمس، والعشر وأقل وأكثر. كما نزل جزء الآية. ونزلت سور كاملة، ونزلت سورتا المعوذتين معاً.

(١) انظر: الاتقان (١/١٣٦). والزيادة والإحسان (١/٣٩٩).

(٢) فتاوى ابن الصلاح (١/٢٤٨)، والبرهان (١/١٩٩)، والاتقان (١/١٣٧).

(٣) الزيادة والإحسان (١/٤٠١).

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي. (٥١٥) والجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٥٤)، والزيادة

والإحسان (١/٤٠٥).

صفة نزول الكتب السماوية السابقة:

ذهب كثير من العلماء إلى أن الكتب السماوية السابقة كالطورا والإنجيل والزبور نزلت جملة ولم تنزل مفرقة مثل القرآن الكريم وهو قول مشهور. حتى قال السيوطي عنه: كاد يكون إجماعاً.^(١)

وقد عتب الشيخ طاهر الجزائري على المخالف لهذا القول فقال: "وقد أنكر بعض العلماء كون سائر الكتب أنزلت جملة واحدة... ثم قال: ولم يرعه كون ذلك خلاف المشهور عند الجمهور، وكان هذا المنكر ممن له يد طولى في معرفة أحوال الكتب الأولى."^(٢)

ويمكن أن نجمع ونحمل أدلة هذا القول بما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿آلَمْ * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان...﴾^(٣) وقوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾^(٤) ووجه الاستدلال بهذه الآيات أنه استعمل مع القرآن لفظ "نزل" الذي يدل على تكثير مرات النزول واستعمل مع بعض الكتب الأخرى لفظة "أنزل" وفيها معنى الإنزال مرة واحدة دون تعدد أو تكرار. فاختلاف التعبير دليل على اختلاف صفة التنزيل.

(١) الاتقان (١٥٢/١).

(٢) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن. (٦١-٦٢).

(٣) سورة آل عمران/١-٤.

(٤) سورة النساء/١٣٦.

٢ - قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت

به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾^(١) حيث يفهم من الآية أن الذين كفروا علموا بصفة نزول الكتب السابقة وأنها نزلت جملة فعجبوا من نزول القرآن مفزقاً، ولو اتحد النزولان لما كان هناك مدعاة للعجب والطلب. فمعنى الآية: قال الذين كفروا هلا أنزل القرآن جملة واحدة كما نزلت الكتب السابقة.

ويتأيد هذا المعنى بأن الجواب على قولهم واعتراضهم جاء ببيان الحكمة من نزول القرآن مفزقاً مما يدل على صحة فهمهم لصفة نزول الكتب السابقة وأنها نزلت جملة واحدة إذ لو لم يكن ذلك صحيحاً لناسب أن يكون الجواب ببيان أن تلك هي سنة الله في إنزال الكتب كما هو منهج القرآن في الرد على اعتراضات المشركين مثل:

١ - رد القرآن على اعتراض المشركين على أكل الرسول للطعام ومشيه في الأسواق فقالوا: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. فكان الجواب بأن هذه سنة الله في المرسلين قبله. ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾^(٢).

٢ - ومثل رد القرآن على اعتراضهم على بشرية الرسول، بقولهم: ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾^(٣) وقولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾^(٤) فكان الجواب أن

(١) سورة الفرقان / ٣٢

(٢) سورة الفرقان / ٢٠

(٣) سورة الإسراء / ٩٤

(٤) سورة الأنبياء / ٣

هذه سنة الله في جنس المرسلين قبله. ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً
نوحى إليهم﴾^(١) ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئن لنزلنا عليهم من
السماء ملكاً رسولاً﴾^(٢)

٣ - قوله تعالى ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل
شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾^(٣)

وذلك يجعل كلمة ﴿تماماً﴾ كلمة قائمة بنفسها، غير متصلة بما
بعدها فيكون المعنى: آتينا موسى الكتاب تماماً - أي في دفعة واحدة لم
نفرق إنزاله كما فرق إنزال القرآن.^(٤)

٤ - ما يشعره ظاهر بعض الآيات من النزول جملة. كقوله سبحانه: ﴿وكتبنا
له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة﴾^(٥) وقوله:
﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين
هم لربهم يرهبون﴾^(٦)

(١) سورة يوسف / ١٠٩

(٢) سورة الإسراء / ٩٥

(٣) سورة الأنعام / ١٥٤

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره عن شيخه أبي سليمان الدمشقي (١٥٣/٣) وهو خلاف قول
الجمهور الذين يجعلون "تماماً" متصلة بما بعدها أي إتماماً وإكمالاً لمن أحسن من أنبياء بني
إسرائيل.

(٥) سورة الأعراف / ١٤٥

(٦) سورة الأعراف / ١٥٤

القول الثاني: في صفة نزول الكتب السابقة: أنها نزلت مفرقة مثل القرآن

فقد ذهب إلى هذا ابن الكمال، والشوكاني، والبقاعي في نظم الدر والقاسمي في تفسيره، وابن عاشور في التحرير والتنوير وغيرهم.

يقول القاسمي عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وقال الذين

كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾^(١) قال: "يذكر المفسرون هاهنا أن الآية رد على الكفرة في طلبهم نزول القرآن جملة، كنزول بقية الكتب جملة، ويرون أن القول بنزول بقية الكتب دفعة؛ صحيح. فيأخذون لأجله في سر مفارقة التنزيل له، والحال أن القول بنزولها دفعة واحدة لا أصل له وليس عليه إثارة من علم، ولا يصححه عقل، فإن تفريق الوحي وتمديد مدته بديهي الثبوت لمقدار مكث النبي إذ ما دام بين ظهراني قومه فالوحي يتوارد تنزله ضرورة ومن راجع التوراة والإنجيل الموجودين يتجلى له ذلك واضحاً لا مرية فيه. وعذر القائل به ظنه أن الآية تعريض بنزول غيره كذلك، وما كل كلام معرّض به، وإنما الآية حكاية لاقتراح خاص وتعنّت متفتن فيه. والله أعلم"^(٢)

أي أنه لما نزل القرآن مفرقاً قالوا: لم لم ينزل جملة ولو نزل جملة لقالوا: لم لم ينزل مفرقاً.

وقال الطاهر بن عاشور في هذا المقام بعد أن ذكر رد أبي حيان على الزمخشري في أن نزل مستعمل في لازم التكثير وهو التوزيع قال: "ورده أبو

(١) سورة الفرقان/ ٣٢

(٢) تفسير القاسمي (١٢/٢٦١).

حيان يقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾^(١) فجمع بين التضعيف وقوله جملة واحدة -قال-:

وأزيد أن التوراة والإنجيل نزلا مفرقين كشأن كل ما ينزل على الرسل في مدة الرسالة. وهو الحق، إذ لا يعرف أن كتاباً نزل على رسول الله دفعة واحدة"^(٢)

وقال البقاعي: عند تفسيره لقوله تعالى من سورة النساء: ﴿سألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ الآية:^(٣)

"وما أوهموا به في قولهم هذا من أن موسى - عليه الصلاة والسلام - أتى بالتوراة جملة كذبة تلقفها منهم من أراد الله تعالى من أهل الإسلام ظناً منهم أن الله تبارك وتعالى أقرهم عليها وليس كذلك كما يفهمه السياق كله. ويأتي ما هو كالصريح فيه في قوله: ﴿إنا أوحينا إليك﴾ الآية كما سيأتي بيانه.^(٤) واليهود الآن معترفون بأنها لم تنزل جملة. وقال الكلبي في قصة البقرة التي ذبحوها لأجل القتيل الذي تدارؤوا فيه: وذلك قبل نزول القامة في التوراة"^(٥)

(١) سورة الفرقان/٣٢

(٢) تفسير ابن عاشور (١٤٨/٣).

(٣) سورة النساء/١٥٣.

(٤) انظر: نظم الدرر (٥/٥٠٧-).

(٥) نظم الدرر (٥/٤٥٤).

وأكد هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى من سورة الفرقان: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة...﴾ الآية، فقال: "وليست الإشارة محتملة لأن تكون للكتب الماضية لأن نزولها إنما كان منجماً - كما بينته في سورة النساء - عن نص التوراة المشير إليه نص كتابنا لا كما يتوهمه كثير من الناس ولا أصل له إلا كذبة من بعض اليهود شبهوا بها على أهل الإسلام فمشت على أكثرهم وشرعوا يتكلفون لها أجوبة واليهود الآن معترفون بأن التوراة نزلت في نحو عشرين سنة.^(١) والله الموفق"^(٢)

وأكد التنجيم بقوله في موضع آخر: "... على أن أحداً ممن طالع التوراة لا يقدر على إنكار ذلك فإنه بين من نصوصها"^(٣)

كما استدلل البقاعي بقوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾^(٤) على تدرج ما أنزل عليه. فقال: "... أي على التدرج شيئاً فشيئاً بحسب المصالح من غير واسطة ملك"^(٥) ثم قال بعد ذلك: (... على أن التوراة أيضاً - كما تقدم بيانه كهذا القرآن في إنزالها منجمة على حسب الوقائع على ما أشار إليه قوله "تكليماً" ولم يكتب منها جملة إلا اللوحان اللذان وضعاً في تابوت الشهادة كما أنزل بعض سور القرآن جملة كسورة الأنعام، وليس في نزول موسى

(١) ذكر في الحاشية أنها في الأصل: عشر سنين، وورد عن المؤلف في (٣٨٣/١٣) أنها في نحو عشرين سنة ويقال: أنها ثمان عشرة.

(٢) نظم الدرر (٣٨٠/١٣).

(٣) نظم الدرر (٣٨٤/١٣).

(٤) سورة النساء/ ١٦٤

(٥) نظم الدرر (٥٠٧/٥)

- عليه السلام - بهما من جبل الطور مكتوبين دليل على نزولهما من السماء.
ويدل على ذلك كثير من نصوصها^(١) ثم ذكر أدلة ونصوصاً من التوراة على ذلك.^(٢)

فهذه جملة أدلة وآراء من يقول بتدرج نزول الكتب السابقة وأن ما يذكر من حكم ومصالح في نزول القرآن منجماً هي صالحة كذلك للمؤمنين بتلك الكتب.

(١) المصدر السابق.

(٢) انظرها في نظم الدرر (٥/٥٠٨-٥١١).

القول بتكرار النزول

الأصل في القرآن الكريم أن ينزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام من الله جل وعلا على الرسول ﷺ مرة واحدة فيحفظه - عليه الصلاة والسلام - ويبلغه أصحابه، ويحفظهم إياه، ويأمر كتبة الوحي بكتابته، ويحدد لهم مواضعه، ويراجع ذلك معهم، ويدارسه جبريل كل عام مرة.

إلا أن تعدد الروايات في أسباب نزول بعض السور والآيات وتعارضها حمل بعض العلماء على القول بتعدد النزول وتكرره مرة بعد أخرى بعد تلك الروايات. وهي مسألة تحتاج إلى دراسة تجمع الأقوال، وتنظر في الأدلة، وتمحص الروايات التي بنى عليها هذا القول للوصول إلى الحق فيها حيث تعددت الأقوال:

القول الأول: أن من القرآن ما تكرر نزوله.

القائلون بذلك:

قال به ابن الحصار،^(١) والسخاوي،^(٢) والزرکشي،^(٣) والسيوطي،^(٤) وابن عقيلة المكي،^(٥) ويعد ممن قال بذلك من المفسرين من علل تسمية الفاتحة

(١) ابن الحصار هو أبو الحسن علي بن محمد الخزرجي، فقيه إشبيلي الأصل، نشأ بفاس، وجاور بمكة، وتوفي بالمدينة (٦١١هـ).

انظر: التكملة لابن الأبار (٦٨٦) والأعلام (١٥١/٥).

(٢) جمال القراء للسخاوي (٣٤/١).

(٣) البرهان (٢٩/١).

(٤) الإتيان (١٣٠/١-١٣١) والتحبير في علم التفسير (٥١).

(٥) الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (٣٩٠/١) تحقيق: د. محمد صفاء حقي.

بالمثاني؛ بأنها نزلت مرتين مرة بمكة، ومرة أخرى بالمدينة كالزحشري،^(١) والفخر الرازي.^(٢) وقال به من المتأخرين: محمد عبد العظيم الزرقاني،^(٣) ومحمد محمد أبو شهبة.

يقول ابن الحصار: "قد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة"^(٤). وقال الزركشي: "وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه..^(٥). وقال أبو شهبة: "ولا مانع من تكرار النزول"^(٦).

وقال السيوطي: "صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأن من القرآن ما تكرر نزوله..^(٧) بل لقد توسع السيوطي في هذا الأمر وجعل منه الآيات التي ورد فيها أكثر من قراءة فقال: "فليجعل من ذلك (أي مما تكرر نزوله) الأحرف التي تقرأ على وجهين فأكثر"^(٨) واستدل له بحديث أبي بن كعب أن الرسول ﷺ قال: "إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي، فأرسل إلي أن أقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هون على أمتي. فأرسل إلي أن أقرأه على سبعة أحرف"^(٩).

(١) الكشف (٢٣/١).

(٢) التفسير الكبير (١٧٦/١).

(٣) مناهل العرفان (١١٣/١).

(٤) الاتقان للسيوطي (١٣٠/١).

(٥) البرهان للزركشي (٢٩/١).

(٦) المدخل لدراسة القرآن (١٥٠).

(٧) الاتقان (١٣٠/١).

(٨) الاتقان للسيوطي (١٣١/١).

(٩) المصدر السابق.

ثم قال مبيناً وجه الاستدلال: "فهذا الحديث يدل على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة بل مرة بعد أخرى"^(١) وقبله قال السخاوي في جمال القراء بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين: "فإن قيل: فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن تكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت في الثانية ببقية وجوهها، نحو: (مَلِك) و (مالك)، و (السرائر) و (الصرط)^(٢) ونحو ذلك.^(٣)

أدلتـه:

١ - الدليل الأول والدافع الأقوى للقول بتكرار النزول هو تعدد الروايات في أسباب النزول أو مكانه كما قيل في الفاتحة أنها نزلت في مكة والمدينة مع اعتقاد عدم إمكان الجمع بين تلك الروايات، أو الترجيح بينها.^(٤)

والرد على هذا الدليل يحتاج إلى دراسة الروايات الواردة في نزول تلك الآيات والنظر في صحة القول بعدم إمكان الجمع بينها، أو الترجيح، أو التوجيه. وسنعرض لها لاحقاً - إن شاء الله -^(٥)

٢ - أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وهي كثيرة فهي تدل - كما قال السيوطي - على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة بل مرة بعد أخرى.^(٦)

(١) الإتقان (١٣١/١).

(٢) قرأ عاصم والكسائي "مالك" بالألف، وقرأ الباقر "ملك"، وقرأ ابن كثير "السرائر" بالسين. وقرأ الجمهور "الصرط" بالصاد. انظر: السبعة لابن مجاهد (١٠٤، ١٠٥-).

(٣) جمال القراء للسخاوي (٣٤/١).

(٤) انظر: البرهان للزركشي (٣١/١). والتجريح في علم التفسير للسيوطي (٥١)، ومناهل العرفان (١١٢-١١٣) والمدخل لدراسة القرآن لأبي شعبة (١٥٠).

(٥) راجع ص (٨٧) وما بعدها.

(٦) الإتقان (١٣١/١) وراجع ص (٨١).

وكما قال السخاوي في توجيه القول بنزول الفاتحة مرتين:
"..قلت: يجوز أن تكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت في
الثانية ببقية وجوها.."^(١)

وهذا القول من السخاوي، والسيوطي توسع في الأمر غير
مرضي، وتفسيرٌ لأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ليس عليه
دليل. وحمل للمراد بالأحرف هنا على أوجه القراءة وهي مختلف فيها
اختلافاً شديداً.

ويلزم منه أن يكون القرآن نزل سبع مرات بل أكثر حيث يلزم
أن يكون نزوله بعدد القراءات ومعلوم أن في القراءات ما هو أكثر من
سبعة أوجه. مع أنه ليس هناك ما يمنع من أن تنزل الآية مرة واحدة
مشملة على وجوه القراءات المتعددة.

٣ - جعل السيوطي من أدلة هذا القول تكرار البسملة في أوائل السور وما
ذكره السيوطي هنا مغاير للمسألة محل البحث. بل هو رد عليه فما تكرر
نزوله تكرر وجوده.^(٢)

٤ - التعليل بما في تكرار النزول من حكم وفوائد، وتذكير نافع للناس، وتنبيه
للعباد، وتعظيم لشأن المنزل المخصوص بذلك، وغير ذلك. كما قال
الزركشي: "وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به عند

(١) جمال القراء للسخاوي (١/٣٤). وراجع ص (٨١).

(٢) انظر: التحرير في علم التفسير للسيوطي (٥٢)، وراجع ص (٨٥).

حدوث سببه خوف نسيانه".^(١) وهذا تعليل عليل، وتوجيه لا يستقيم، لأن القرآن الكريم كله عظيم، وكله وصايا نافعة، وفوائد جامعة، ونور وهدى وموعظة وذكرى. فحق القرآن كله إذاً أن يتكرر نزوله. وأن كل ما نزل بمكة ينزل مرة أخرى بالمدينة. والحق أنه لا يلزم من تحصيل تلك الحكم والفوائد تكرار النزول بل هي حاصلة بالنزول الأول، ومتحققة بتكرار التلاوة، وحسن التدبر الذي أمر الله به في قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢) وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣)

القول الثاني: أنه ليس هناك شيء من القرآن تكرر نزوله

وقد صرح بذلك القاضي العماد الكندي،^(٤) في كتابه "الكفيل بمعاني التنزيل"، والطاهر بن عاشور، حيث قال في معرض رده لقول من قال بتكرر نزول سورة الفاتحة: ".. وهذا قول بعيد جداً، وتكرر النزول لا يعتبر قائله"^(٥) والشيخ طاهر الجزائري،^(٦) والشيخ مناع القطان^٥ وغيرهم. ويستدل لهذا بما^٧ يلي:

(١) البرهان (٢٩/١). وانظر مناهل العرفان (١١٤/١). والمدخل لدراسة القرآن الكريم. محمد

محمد أبو شهبة (١٥١).

(٢) سورة محمد/ ٢٤

(٣) سورة النساء/ ٨٢

(٤) هو: أبو الحسين بن أبي بكر بن الحسين عماد الدين الكندي، مفسر، نحوي محدث، من فقهاء المالكية، وقضاة الاسكندرية، توفي ٧٤١هـ. له: الكفيل بمعاني التنزيل. تفسير ضخيم، في ٢١ مجلد في دار الكتب المصرية.

انظر: طبقات المفسرين للداودي (١٦١/١) وبغية الوعاة (٥٣٢/١) ومعجم المفسرين (١٥١/١)

(٥) التحرير والتنوير (١٣٥/١).

١ - أنه خلاف الأصل، يقول الحافظ ابن حجر: "والأصل عدم تكرار النزول"^(١) ولا يخرج عن الأصل إلا بأدلة قوية، وحجج قطعية، صحيحة وصریحة.

٢ - أنه لا فائدة في التكرار فهو تحصيل حاصل، يقول العماد الكندي: "إنه يجب عليه تحصيل الحاصل، وهو محال"^(٢)

٣ - أنه لو كان شيء من القرآن تكرر نزوله لتكرر وجوده في القرآن بمقدار تكرار النزول فتوجد الفاتحة - مثلاً - مرتين. كما تكررت في القرآن بعض الآيات كقوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وغيرها من الآيات فقد تكرر وجودها لتكرر نزولها.^(٣)

٤ - أنه يلزم منه أن يكون كل ما نزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى فإن جبريل كان يعارض الرسول ﷺ القرآن كل سنة وهذا لا يقوله أحد.^(٤) وأنه لا معنى للإنزال إلا أن ينزل جبريل على الرسول ﷺ بقرآن لم يكن نزل به من قبل فيقرئه إياه.^(٥)

(١) انظر: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن (٥٦).

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن / ٩١

(٣) فتح الباري لابن حجر (٥٠٨/٨).

(٤) انظر: تفسير الإمام ابن عرفة برواية تلميذه الأبي. تحقيق: د. حسن المناعي (٩١/١) والاتقان للسيوطي (١٣١/١).

(٥) انظر: تفسير الإمام ابن عرفة (٩١/١).

(٤) انظر تفسير ابن عرفة برواية تلميذه الأبي (٩٢/١) والاتقان للسيوطي (١٣١/١) وقد رده بمنع التلازم في ذلك.

(٥) انظر: الاتقان للسيوطي (١٣١/١) ورد بمنع اشتراط قوله "لم يكن نزل به من قبل" وانظر: تفسير ابن عرفة (٩١/١). والتبيان للشيخ طاهر الجزائري (٥٦).

٥ - أن ما قيل من تعارض بعض روايات نزول بعض السور والآيات بحيث لا يمكن الجمع بينها ولا الخروج من هذا التعارض إلا بالقول بتكرار النزول؛ لا يصح لأن هذا التعارض المدعى وهو الحجة الأقوى لهذا القول؛ لا يثبت عند دراسة تلك الروايات سنداً وممتناً. وأنه إذا لم يمكن الجمع بينها فيمكن الترجيح. فإذا ذهب هذا التعارض ذهب ما بني عليه من قول هو خلاف الأصل، وهو القول بتكرار النزول.

يقول الشيخ مناع القطان عن هذه المسألة: "هذا ما يذكره علماء الفن في تعدد النزول وتكرره. ولا أرى لهذا الرأي وجهاً مستساغاً حيث لا تتضح الحكمة من تكرار النزول. وإنما أرى أن الروايات المتعددة في سبب النزول ولا يمكن الجمع بينها يأتي فيها الترجيح"^(١) وقال عن هذا القول في موضع آخر: "وفي هذا القسم الأخير مقال، وفي النفس منه شيء"^(٢)

وقال الدكتور السيد أحمد عبد الغفار: "فإن القول بتكرار النازل نفسه أكثر من مرة أمر غير مقبول، وربما أراد العلماء به التوفيق بين الآراء المتعددة، أو أن تعدد الطرق في تناول الخبر حداً بهم إلى القول بتكرار النازل".^(٣) ولا بد من النظر فيما ورد من روايات متعارضة في أسباب نزول تلك الآيات والسور لمعرفة قوة هذا التعارض وضعفه، ومدى صحة ما بني عليه من ادعاء تكرار النزول.

(١) مباحث في علوم القرآن (٩١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه (٥٧).

روايات وتوجيهات

سبقت الإشارة والعبارة إلى أن الدافع للقول بتكرار نزول بعض السور والآيات هو تعدد روايات أسباب نزول تلك السور والآيات بحيث جعل القول بتكرار النزول هو وجه الجمع بينها لتعذر الجمع بينها بغير ذلك وتعذر ترجيح بعضها على بعض لتمائلها في القوة والصحة عند أصحاب هذا القول. قال السيوطي: «ومنه كل ما اختلف في سبب نزوله، أو تأخر وقته وسند كل من الروايتين صحيح، ولم يمكن الجمع وهو أشياء كثيرة. ومن راجع أسباب النزول وجد من ذلك كثيراً»^(١).

وسوف نعرض فيما يلي لدراسة ما ورد من روايات عن تلك السور والآيات مع الاجتهاد في بيان وجه الحق فيها من خلال كلام العلماء.

١ - سورة الفاتحة:

فقد اختلف في موضع نزولها وهل هي مكية أو مدنية على أربعة أقوال:

١ - أنها مكية: وهو قول علي، وابن عباس، وقتادة، وأبي العالية، وأبي ميسرة، والحسن البصري، ومحمد بن يحيى بن حبان،^(٢) قال الثعلبي: وعليه أكثر العلماء.^(٣)

أدلته:

^(١) التحبير في علم التفسير للسيوطي (٥١).

^(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٦١/١)، وابن الجوزي (١٠/١)، والقرطبي (١١٥/١).

^(٣) الكشف والبيان (١٩/١) (خ)، وجمال القراء للسخاوي (١١/١).

١ - عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش.^(١)

٢ - ما أخرجه أبو بكر بن الأنباري في المصاحف عن قتادة قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة.^(٢)

٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين. فقالت قريش: دق الله فاك. - زاد الواحدي قوله - : أو نحو هذا، قاله الحسن وقاتدة.^(٣)

القول الثاني: أنها مدنية

قاله: أبو هريرة، وعطاء بن يسار، ومجاهد، والزهري، وسودة بن زياد وعبد الله بن عبيد بن عمير.^(٤)

أدلته:

١ - عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة.^(٥)

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٨/١) بسنده. نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة: ٩٨ تفسير، والواحدى في أسباب النزول (٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠/١) ولم ينسبه لغيرهما.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١١/١) ولم ينسبه لغير ابن الأنباري في المصاحف. (٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (١٩/١ خ) من طريق الكلبي. وأخرجه الواحدى بسنده في أسباب النزول (١٨).

(٤) انظر: تفسير ابن عطية (٦١/١)، والقرطبي (١١٥/١)، وابن الجوزي (١٠/١) وجمال القراء للسخاوي (١١/١) والمأثور في تفسير سورة الفاتحة (٩-١٠) د. عبد الإله الأحمدي.

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١١/٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط شبيه المرفوع، =

٢ - وعن مجاهد قال: نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة.^(١)

٣ - عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: فاتحة الكتاب مدنية.^(٢)

٤ - عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك: فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته.^(٣)

ووجه الدلالة من هذا على مدنية سورة الفاتحة - عند القائلين بذلك - أنها قرئت بنزول الملك بها مع خواتيم سورة البقرة المدنية.

وقد أجاب القرطبي عن هذا بأن جبريل عليه السلام نزل بها بمكة ونزل هذا الملك بفضلها وثوابها بالمدينة. فجبريل هو أمين الوحي وقد

= ورجاله رجال الصحيح. وذكره السيوطي في الدر المنثور (١١/١) وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف وأبي سعيد بن الأعرابي في معجمه، والطبراني في الأوسط. وقد أخرج مقاتل في تفسيره (٢/١ خ) بسنده عن مجاهد أنه قال: لما نزلت فاتحة الكتاب رن إبليس. فلم يذكر نزولها بالمدينة. وذكره السيوطي في الإتيان (٤٧/١) ثم قال: "ويحتمل أن الجملة الأخيرة مدرجة من قول مجاهد".

^(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣٦٧)، والثعلبي في تفسيره (١٩/١ خ) ومقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/١ خ) بلفظ: (فاتحة الكتاب مدنية). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١١/١) وزاد فيمن أخرجه: وكيع والفرابي في تفسيرهما، وابن أبي شيبة في المصنف وعبيد بن حميد، وابن المنذر في تفسيره، وأبو بكر بن الأنباري في كتابه المصاحف، وأبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية من طرق عن مجاهد.

^(٢) أخرجه مقاتل بن سليمان في تفسيره بسنده (٢/١ خ) ولم أقف عليه عند غيره.

^(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٥٥٤/١) حديث رقم (٨٠٦).

قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(١) وهذا يقتضي نزوله بجميع القرآن الكريم دون استثناء.^(٢)

القول الثالث: أنه نزل نصفها أو بعضها بمكة، والآخر بالمدينة.

وقد حكاه أبو الليث السمرقندي في تفسيره بحر العلوم،^(٣) ولم ينسبه لقائل بعينه، وساقه بصيغة: يقال "كأنه يضعفه، وهو ضعيف غريب. قال عنه ابن كثير متعباً له وهو غريب جداً".^(٤)

القول الرابع: أنها مكة مدنية. نزلت مرة بمكة، وأخرى بالمدينة.

حكاه السخاوي،^(٥) والزرکشي،^(٦) والزمخشري، والفخر الرازي، والثعلبي، والألوسي، والسيوطي، ولم ينسب لمعين.

قال الزمخشري في تفسيره: "... وقيل: مكة ومدنية لأنها نزلت بمكة مرة، وبالمدينة أخرى".^(٧) وساقه الفخر الرازي تعليلاً لتسميتها بالمشاني فقال: "الثامن: سميت مشاني لأن الله أنزلها مرتين.."^(٨) وقال الثعلبي: "ولفق بعض العلماء بين هذين القولين فقال: إنها مكة مدنية نزل بها جبريل مرتين مرة

(١) سورة الشعراء/ ١٩٣.

(٢) انظر تفسير القرطبي (١١٦/١).

(٣) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢٢١/١). وانظر الاتقان للسيوطي (٤٧/١).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/١).

(٥) انظر: جمال القراء (٣٤/١). وراجع ص (٨٣).

(٦) البرهان (٢٩/١) والاتقان (٤٧/١).

(٧) الكشف (٢٣/١).

(٨) التفسير الكبير (١٧٦/١).

بمكة ومرة بالمدينة حين حلها رسول الله ﷺ تعظيماً وتفضيلاً لهذه السورة على ما سواها فلذلك سميت مثنائي. والله أعلم^(١)

وقال الألوسي: "وقيل نزلت بمكة حين فرضت الصلاة، وبالمدينة لما حولت القبلة ليعلم أنها في الصلاة كما كانت"^(٢)

الترجيح:

الراجح أنها مكية. وهو قول جمهور العلماء من الفقهاء والمفسرين وغيرهم وذلك لأمر:

١ - الإشارة إليها في سورة الحجر بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٣) والحجر مكية بإجماع لا خلاف فيه وقد ثبت أنها السبع المثنائي الذي أوتيته الرسول ﷺ ولم يكن الله تعالى ليمنن على رسوله ﷺ بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة ثم ينزلها بالمدينة.

٢ - أنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ قط أنه كانت في الإسلام صلاة بغير الفاتحة يدل على ذلك قوله ﷺ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب^(٤). قال الحسين بن الفضل: ولا يسعنا القول بأن رسول

(١) الكشف والبيان (٢٩/١ ب. خ) وانظر: المأثور في تفسير الفاتحة. د. عبد الإله الأحدي (١١-١٢).

(٢) روح المعاني (٣٣/١).

(٣) سورة الحجر/٨٧

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٦/٢) فتح الباري، ومسلم (٢٩٥/١) رقم (٣٩٤).

الله ﷺ قام بمكة بضع عشرة سنة يصلي بلا فاتحة الكتاب. هذا مما لا تقبله العقول" (١)

٣ - ما هو مشهور عند العلماء من أن الفاتحة من أول القرآن الكريم نزولاً على الرسول ﷺ. قال أبو ميسرة: أول ما أقرأ جبريل النبي ﷺ فاتحة الكتاب إلى آخرها. (٢) وقال الزمخشري في الكشاف: "وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب" ومع أن العلماء ضعفوا هذا القول. إلا أنه من الصحيح المسلم به أن سورة الفاتحة من أول السور نزولاً مما يعني أنها مكية. (٣)

٤ - ضعف الأقوال الأخرى فالقول بنزول بعضها في مكة وبعضها الآخر بالمدينة تفرد بحكايته السمرقندي ولم ينسبه لقائل، ولما يتابع عليه. والقول بنزولها بالمدينة معارض بما هو أقوى دليلاً وأصح توجيهاً وأكثر قائلًا. وكما قال الألوسي: "إن نفي نزولها بالمدينة هو الأصل، وعلى مدعي الإثبات؛ الإثبات" (٤) وأشهر من قيل عنه بأنها مدنية هو مجاهد بن جبر، وهو قول لم يرد ذكره في تفسيره. وقد عد هفوة منه. يقول الحسين بن الفضل: "لكل عالم هفوة، وهذه بادرة من مجاهد، لأنه تفرد" (٥) بهذا القول. والعلماء على خلافه.. (٦)

(١) أسباب النزول للواحدي (١٨). والكشف والبيان للثعلبي (١/١٩-أ.خ) وتفسير ابن عطية

(١/٦١)، والمأثور في تفسير الفاتحة (١٢).

(٢) جمال القراء للسخاوي (١/١١).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (١/٦١)، والقرطبي (١/١١٥) والاتقان (١/٩٤).

(٤) روح المعاني (١/٣٣-٣٤).

(٥) دعوى التفرد لا تسلم لما علمته من القائلين بذلك. ولا يمنع هذا ضعف القول.

(٦) أسباب النزول للواحدي (١٨). والكشف والبيان للثعلبي (١/١٩-أ.خ)

كما أن القول بتكرّر نزولها مرة بمكة ومرة بالمدينة إنما حكاه بعض المفسرين - كما تقدم -^(١) تعليلاً ضعيفاً لتسمية الفاتحة بالسبع المثاني. أو جمعاً بين الأقوال الواردة في مكان نزول السورة. وهو كما قال الثعلبي تلفيقاً بين الأقوال.^(٢) ثم هو قول حكي ولم ينسب لمعين، وهو كما قال بعض العلماء: تحصيل حاصل.^(٣)

ولا يكاد بعضهم يعتد بقائله: يقول ابن عاشور في تفسيره: "وقيل سميت المثاني لأنها ثنيت في النزول فنزلت بمكة، ثم نزلت بالمدينة وهذا قول بعيد جداً وتكرر النزول لا يعتبر قائله، وقد اتفق على أنها مكية فأى معنى لإعادة نزولها بالمدينة"^(٤) فإذا ترجحت مكيتها لم يعد للقول بتكرّر نزولها حجة ولا وجه. والله أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قَرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (سورة التوبة/١١٣) قال بدر الدين الزركشي: "وهذه الآية نزلت آخر الأمر بالاتفاق وموت أبي طالب كان بمكة، فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى"^(٥)

(١) راجع ص (٩٠).

(٢) انظر تفسيره (١٩/١ - خ) وراجع ص (٩٠).

(٣) انظر: تفسير ابن عرفة برواية تلميذه الأبي. تحقيق: د. حسن المناعي (٩١/١).

(٤) تفسير ابن عاشور (١٣٥/١).

(٥) انظر البرهان للزركشي (٥٥/١) والاتقان للسيوطي (١٣٠/١) والزيادة والإحسان لابن عقيلة

المكي (٣٦٥/١).

الروايات الواردة في سبب نزول الآية:

١ - عن سعيد بن المسيب عن أبيه. قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ: يا عم: قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾^(١) وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إنك لا تهدي من أحب ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾^{(٢)(٣)}

(١) سورة التوبة

(٢) سورة القصص / ٥٦

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع، كتاب التفسير سورة التوبة (٢٠٨/٥). ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت (٥٤/١) حديث (٢٤)، واللفظ له. والواحدي في أسباب النزول، (٢٦٣)، وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول (٧٩ - ٨٠).

قال الشوكاني في فتح القدير (٤١١/٢): وقد روي كون سبب نزول الآية استغفار النبي ﷺ لأبي طالب من طرق كثيرة: منها عن محمد بن كعب عند ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وهو مرسل، ومنها عن عمرو بن دينار عند ابن جرير وهو مرسل - أيضاً - ومنها عن سعيد بن المسيب عند ابن جرير - وهو مرسل أيضاً - ومنها عن عمر بن الخطاب عند ابن سعد وأبي الشيخ وابن عساكر ومنها عن الحسن البصري عند ابن عساكر وهو مرسل.

٢ - عن علي عليه السلام قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان، فقال: أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾. قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقال: وفي الباب عن سعيد بن المسيب عن أبيه^(١) وليس في هذا الحديث تعيين لمكان أو زمان النزول، وقد يفسر ذلك ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول من حديث محمد بن كعب القرظي الطويل في وفاة أبي طالب ورغبة النبي صلى الله عليه وسلم في إسلامه. حيث جاء في آخره قوله: "...فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أزال أستغفر لك ربي حتى يردني. واستغفر له بعدما مات، فقال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قراباتنا؟! قد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه، فاستغفروا للمشركين حتى نزل: ﴿مَا

كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قَرَبَىٰ﴾^(٢)

وفي معناه ما أخرجه الحاكم في المستدرک عن جابر عليه السلام قال: لما مات أبو طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمك الله وغفر لك يا عم، ولا أزال أستغفر لك حتى ينهاني الله عز وجل. فأخذ المسلمون يستغفرون

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨١/٥) حديث ٣١٠١ والحاكم في المستدرک (٣٣٥/٢) وقال

عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢٦٤-٢٦٥).

لموتاهم الذي ماتوا وهم مشركون، فأُنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

آمَنُوا...﴾ الآية. (١)

٣ - وأخرج الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود الطويل أن رسول الله

ﷺ زار المقابر - وفيه - إن القبر الذي رأيتُموني أناجي فيه قبر أُمِّي آمنَة بنت وهب وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه، فاستأذنته في

الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه، ونزل علي: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

آمَنُوا...﴾ الآية. (٢)

وأما ما ذكره ابن عقيلة المكي في كتابه: الزيادة والإحسان من

اعتراض على قول السيوطي إن قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...﴾ الآية،

نزل في قول الرسول ﷺ لعمه أبي طالب: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فلا يصح. فقد قال: "...وأقول: يعارض هذا ما أخرجه الطبراني

عن ابن عباس ؓ أنها نزلت لما خرج النبي ﷺ معتمراً وهبط من ثنية عسفان فرأى قبر أمه وأستأذن في الاستغفار لها. فهذا يعارض أنها نزلت في مكة..." (٣) فليس في رواية الطبراني الطويلة المشار إليها تصريح بنزول

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٣٥/٢) وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقد أرسله أصحاب سفيان بن عيينة عنه كما ذكر الحاكم والذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٣٦/٢) من حديث طويل. وصححه. وتعقبه الذهبي فضعفه لضعف أيوب بن هاني. كما أنه ورد من وجه ليس فيه ذكر نزول الآية انظر تفسير ابن كثير (٣٩٣/٢).

(٣) انظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (٢٨٧/١) بتحقيق د. محمد صفاء حقي - رسالة ماجستير -

الآية المذكورة.^(١) ويضاف إلى ذلك ضعفه لجهالة عدد من رواته. فقد قال الهيثمي: "...من عدا عكرمة لم أعرفهم ولم أر من ذكرهم"^(٢) وقال عنه ابن كثير في تفسيره بعد سياق رواية الطبراني له: "وهذا حديث غريب وسياق عجيب"^(٣)

ويتلخص مما سبق:

- ١ - أن الآية نزلت بعد وفاة أبي طالب بمكة. فهي مكية مكاناً وزماناً.
 - ٢ - أنها نزلت بعد استغفار بعض المسلمين أو أحدهم لأبائهم وأقربائهم المشركين.
 - ٣ - أنها نزلت بعد استغفار النبي ﷺ لأمه حين زار قبرها.
- وقد جمع بينها ابن حجر فجعل ذلك من تقدم السبب وتعدده مع تأخر نزول الآية بعد تلك الأسباب فقال: "ويحتمل أن يكون نزول الآية تأخر وإن كان سببها تقدم، فيكون لنزولها سببان: متقدم وهو أمر أبي طالب، ومتأخر وهو أمر آمنة"^(٤)

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٩٦/١١) رقم (١٢٠٤٩).

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي (١١٧/١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٩٣/٢-٣٩٤).

(٤) فتح الباري (٥٠٨/٨).

وجعل من مؤيدات ذلك:

١ - أن الرسول ﷺ قال يوم أحد بعد أن شج وجهه: "ربي اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

٢ - أن الرسول ﷺ استغفر للمنافقين.^(١)

وفيما قال ابن حجر - رحمه الله - نظر

فما ذكره من مؤيدات للجمع بين الروايات فقد أجاب عنه بنفسه فقال: عن قوله ﷺ بعد أن شج وجهه في أحد: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون: بقوله: "لكن يحتمل في هذا أن يكون الاستغفار خاصاً بالأحياء وليس البحث فيه"^(٢) ويمكن أن يضاف لما ذكره ابن حجر - رحمه الله - أنها دعوة عامة، وأنها استغفار لحادثة خاصة.

وأما استغفاره ﷺ للمنافقين فإنه أخذ بظاهر حالهم وهو الإسلام وجوّد هذا ابن حجر في موضع آخر فقال: "... ومنهم من قال: إن النهي عن الاستغفار لمن مات مشركاً لا يستلزم النهي عن الاستغفار لمن مات مظهراً للإسلام لاحتمال أن يكون معتقده صحيحاً. وهذا جواب جيد"^(٣) ولقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٤) على التخيير.

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح الباري (٥٠٨/٨) وانظر: (٣٣٩/٨).

(٣) فتح الباري (٣٣٩/٨).

(٤) سورة المنافقين

وإذ لم يستقم الجمع بين الروايات فإن القول بتكرار النزول أشد ضعفاً وأبعد عن الصحة لأن الاستغفار المتأخر مخالفة للآية في نزولها المتقدم. ولن يخالف الرسول ﷺ أمر ربه. كما تبعد مخالفة الصحابة للآية كذلك.

قال ابن عقيلة المكي: "... ولا يمكن الجمع بتعدد النزول لكونه يبعد أن النبي ﷺ بعد أن ينهى في قضية أبي طالب يسأل" (١) - أي يسأل لهم المغفرة

..

وقال ابن عقيلة في معرض ترجيحه: "... وسبق من حديث الشيخين أن سبب نزول الآية في أبي طالب فيرجح ما في البخاري ومسلم بأوجه: الأول منها: أنه عليه السلام بعد أن ينهى عن الاستغفار لأبي طالب يبعد منه العود إلى أن يستغفر ثانياً.

الثاني: أن حديث ابن مسعود وإن صححه الحاكم فقد تعقبه الذهبي في مختصره قال: في سنده أيوب بن هاني ضعفه ابن معين. (٢) فهذه علة تقدح في صحته.

الثالث: أن الحديث مضطرب ففي بعض رواياته أن القبر بمكة (٣) وفي بعضها بالأبواء (٤) وفي بعضها قبل ثنية عسفان (٥) فهذه علة ثانية تقدح فيه.

(١) الزيادة والإحسان (٣٦٦/١) لابن عقيلة المكي. غير أنه في موضع آخر أجاز هذا الوجه الذي منعه فقال (٣٦٦/١): "فلا يبعد أنها نزلت أولاً في حق أبي طالب ثم نزلت في حق هذا الرجل. والله أعلم".

(٢) انظر المستدرک للحاكم وبخاشيته تلخيص الذهبي (٣٣٦/٢).

(٣) انظر فتح الباري (٥٠٨/٨).

(٤) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٢٣٥/١).

(٥) انظر فتح الباري (٥٠٨/٨).

الرابع: أن في بعض طرق هذا الحديث - وهو أصحها - كما ذكره الحافظ السيوطي - رحمه الله - أن النبي ﷺ زار قبر أمه في ألف مقنع فما رأى أكثر باكياً ذلك اليوم. رواه الحاكم وصححه.^(١)

وهذه الروايات ليس فيها ذكر لسبب نزول الآية وقد يكون البكاء لمجرد الرقة الحاصلة من زيارة الأموات من الأحياء لا لأمر آخر.

- ثم قال - فبما تقرر ظهر أن العمل على ما في الصحيحين من أن سبب النزول لها قضية أبي طالب^(٢) فصار الصواب الأخذ بما في الصحيحين من نزول الآية بعد استغفار الرسول ﷺ لعمه أبي طالب في مكة، فهي رواية صحيحة وصریحة، وطرقها كثيرة، وما عداها من روايات لا يقوى على معارضتها، يقول الشوكاني في تفسيره: "...وما في الصحيحين مقدم على ما لم يكن فيهما على فرض أنه صحيح فكيف وهو ضعيف غالبه"^(٣) فالترجيح هنا لرواية الصحيحين أولى من القول بالجمع بين الروايات لأنه جمع بين صحيح وضعيف يؤدي في حقيقته إلى ترك الصحيح وعدم الأخذ به.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (سورة هود/١١٤) فقد دفع الزركشي الإشكال

(١) انظر المستدرک للحاکم (٣٣٦/٢).

(٢) الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (٣٦٧/١-٣٦٨) بتحقيق د. محمد صفاء حقي - رسالة

ماجستير -

(٣) فتح القدير (٤١١/٢) -.

الناتج من كون سورة هود مكية، وسبب نزول الآية مدني بقوله: "لا إشكال لأنها نزلت مرة بعد مرة"^(١)

فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النِّهَارِ...﴾ الآية. قال الرجل ألي هذه قال لمن عمل بها من أمتي.^(٢)

وما ذكره الزركشي - رحمه الله - من القول بتكرار النزول ليس عليه دليل ولا تقوم له حجة. وليس في المسألة إشكال يستدعي دفعه القول بما هو خلاف الأصل من نزول الآية مرة بعد مرة. فإن كون سورة هود مكية لا يلزم منه أن تكون كل آياتها كذلك. والزركشي نفسه ذكر أن من أنواع المكّي والمدني: الآيات في السور المدنية والآيات المدنية في السور المكّي.^(٣) هذا من حيث التأصيل والتعديد. وأما ما يتعلق بالآية المذكورة فقد صرح ابن عباس، وقتادة، ومقاتل بأن الآية المذكورة (١١٤) من سورة هود؛ مدنية. وزاد مقاتل في استثناء آية (١٢) وآية (١٧) بأنهما مدنيتان أيضاً^(٤) قال الألوسي في تفسيره عن استثناء هذه الآية: "... قال الجلال السيوطي: ودليله ما صح من عدة طرق

(١) البرهان (٣٠/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٤/٥). واللفظ له. ومسلم في صحيحه. والواحد في أسباب النزول (٢٦٨ - ٢٧٢)، وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول للوداعي (٨٦). ووردت تسمية صاحب القصة وأنه أبو اليسر بن عمرو.

(٣) انظر البرهان (١٩٩/١).

(٤) انظر تفسير مقاتل (١٤١/١ ب. خ)، وتفسير ابن الجوزي (٧٢/٤) والقرطبي (١/٩).

أنها أنزلت بالمدينة في حق أبي اليسر^(١) فليس هناك إذاً إجماع على مكية السورة بكاملها مع وجود المخالف. فدفع ما توهمه الزركشي من إشكال بأنها مدنية في سورة مكية أوضح وأوجه وأصح من القول بتكرار نزولها.

٤ - قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتُم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولن صبرتم لهُو خير للصابرين﴾ * واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم * ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (سورة النحل/١٢٦-١٢٨) فقد قال ابن الحصار إنها نزلت ثلاث مرات، مرة بمكة مع السورة لكونها مكية، ثم نزلت بأحد، ثم يوم الفتح. معللاً ذلك بأنه تذكير من الله جل شأنه للعباد.^(٢)

وسار على هذا الزرقاني في مناهل العرفان،^(٣) ومحمد محمد أبو شعبة في المدخل لدراسة القرآن^(٤) وذلك جمعاً بين ما ورد في سبب نزولها من روايات. فقد أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به. فقال: لأمثلن بسبعين منهم مكانك. فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل.^(٥)

(١) روح المعاني (٢٠٢/١١).

(٢) انظر الاتقان للسيوطي (١٢٣/١)، والزيادة والإحسان (٣٦٤/١).

(٣) انظر مناهل العرفان (١١٣/١).

(٤) المدخل لدراسة القرآن (١٥١).

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٨٨/٣).

وأخرج الترمذي عن أبي بن كعب، قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون. ومن المهاجرين ستة منهم: حمزة. فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنرين عليهم فلما كان يوم الفتح أنزل الله جل شأنه: ﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به...﴾ الآية.^(١)

فأفادت الرواية الأولى أن الآية نزلت في غزوة أحد، وأفادت الرواية الثانية أنها نزلت يوم الفتح، وبينهما حوالي خمس سنين فيبعد نزول الآية عقيبهما معاً للتباعد الزمني بينهما، قال الزرقاني: "وإذاً لا مناص لنا من القول بتعدد نزولها مرة في أحد ومرة يوم الفتح"^(٢)

قال أبو شهبه: وهذا على أن سورة النحل مكية إلا خواتيمها كما روي وقد ذهب البعض إلى أن سورة النحل كلها مكية بما فيها هذه

قال البزار: "لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه. تفرد به عن سليمان؛ صالح، وقد تقدم ذكرنا لصالح، يعني تقدم ضعفه، ولا نعلم رواه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة" كشف الأستار (٣٢٧/٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٩/٦) وقال: "رواه البزار والطبراني، وفيه صالح بن بشير المري. وهو ضعيف" وقال عنه البخاري في الضعفاء الصغير (١١٩): منكر الحديث.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩٩/٥) حديث (٣١٢٩) وقال: حديث حسن غريب من حديث أبي بن كعب. وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢٨٩/٣)، والحاكم - بنحوه - في المستدرک (٣٥٩/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد في المسند (١٣٥/٥)، والواحدي في أسباب النزول (٢٩٠).

وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول للوادي (٩٢) ولم يذكر غيره في أسباب نزول الآية.
(٢) مناهل العرفان (١١٣/١).

الآيات وعلى هذا الرأي تكون نزلت ثلاث مرات: مرة بمكة، ومرة ثانية عقب أحد، ومرة ثالثة يوم الفتح"^(١)

ثم سوغ أبو شهبه هذا القول بالتماس حكمته فقال: "وفي هذا التكرار تذكير الله لعباده بما اشتملت عليه الآيات من الإرشاد والآداب العالية، وهي: تحري العدالة والإنصاف عند الانتصار للنفس، وكبح جماح شهوة التشفي والإسراف في الانتقام عند النصر والظفر بالأعداء، وضبط النفس عند الغضب، والتذرع بالصبر عند وقوع المكروه، والتحلي بسعة الصدر، وجمال التقوى في جميع الحالات"^(٢)

وهذه الحكم وغيرها تتحقق بنزول الآيات ابتداء ولا تتوقف على تكرار نزولها. فإذا علمنا أن الرواية الأولى التي جعلت نزول الآيات يوم الفتح ضعيفة لأن في سندها: صالح بن بشير المري، الذي ضعفه ابن معين وقال عنه أحمد: صاحب قصص، ليس هو صاحب حديث، وقال عنه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك.^(٣) فلسنا بحاجة إلى الوقوف عندها، والأخذ بها، والقول بتكرار النزول اعتباراً لها، ولجورد الجمع بينها وبين رواية الترمذي التي هي أصح منها ولا تعارض بين مكة السورة ومدنية بعض آياتها حيث ترد الآيات المدنية في السور المكية والعكس كذلك.

(١) المدخل لدراسة القرآن (١٥١).

(٢) المدخل لدراسة القرآن (١٥١). وانظر من حكم التكرار ما ذكره الزرقاني في مناهل العرفان (١١٤/١) رداً على الاعتراض على القول بتكرار النزول وأنه لا صحة له، ولا مصلحة فيه.

(٣) انظر: الضعفاء الصغير للبخاري (١١٩)، والضعفاء والمتروكين للنسائي (١٣٦) وميزان الاعتدال (٢/٢٨٩).

وقد ورد استثناء بعض الآيات من سورة النحل المكية عن ابن عباس، والشعبي، وقتادة، وابن السائب ومقاتل، وغيرهم.^(١) قال القرطبي عن هذه الآيات: "والجمهور على أنها مدنية، وهو أثبت"^(٢) فصار بهذا مناص سائغ، وترجيح صائب للقول بعدم تكرار النزول لا كما قال الزرقاني - رحمه الله - من أنه لا مناص من القول بتعدد النزول.^(٣) والله أعلم.

٥ - قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء/٨٥) فقد جعلها ابن الحصار، والزركشي، والسيوطي، وغيرهم. مما تكرر نزوله.^(٤)

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في ضرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسأله فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم: ما الروح فسكت فقلت إنه يوحى إليه فقلت: فلما انجلى عنه

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي (٤/٤٢٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/٢٠١).

(٣) انظر مناهل العرفان (١/١١٣) وراجع ص ١٠٢.

(٤) انظر: البرهان (١/٣٠)، والإتقان (١/١٣٠)، وتفسير ابن كثير (٣/٦٤) - نشر مكتبة

العيكان - والزيادة والإحسان (١/٣٦٥).

فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قالوا: أوتينا علماً كثيراً: التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً. فأنزلت: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنَّ أَكْثَرُ﴾^(٢) الآية^(٣). فالحديثان متعارضان يفهم من أولهما أن الآية نزلت بالمدينة. ويدل الثاني صراحة على أنها نزلت بمكة. وللخروج من هذا التعارض تعددت المذاهب على ثلاثة أقوال:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع عدة، انظر فتح الباري (٢٢٤/١) و (٤٠١/٨) و (٢٦٥/١٣، ٤٤٠، ٤٤٢). وأخرجه مسلم (٢١٥٢/٤) حديث (٢٧٩٤). والواحد في أسباب النزول (٢٩٩) وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي (٩٤).
(٢) سورة الكهف/ ١٠٩.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٤/٥) رقم (٣١٤٠)، وقال عنه: "حسن صحيح غريب من هذا الوجه" وهو غريب لكونه يعارض ما في الصحيحين مع صحته. وأخرجه الحاكم في المستدرک (٥١٣/٢)، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في الدلائل (٦١٠/٢) وقال عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٠١/٨) "ورجاله رجال مسلم" وصححه إسناده الشيخ أحمد شاكر في أحاديث مسند الإمام أحمد رقم (٢٣٠٩). (٨٥/٤).

١ - أن الآية تكرر نزولها مرة بمكة مع السورة لكون سورة الإسراء مكية باتفاق^(١)، ومرة أخرى بالمدينة جمعاً بين الروايات. قال ابن كثير في تفسيره في الكلام على الحديث الأول: "وهذا الحديث يقتضي فيما يظهر بادئ الرأي أن هذه الآية مدنية وأنها نزلت حين سألته اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية. وقد يجاب عن هذا بأنها قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك.." ^(٢) وقال الحافظ ابن حجر: "ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك" ^(٣)

٢ - أن الآية مدنية ولم تنزل إلا مرة واحدة وذلك ترجيحاً للرواية الأولى لصحة روايتها فإن ما في صحيح البخاري أصح من غيره ولأن ابن مسعود راوي الحديث كان حاضراً القصة. بخلاف ابن عباس فلم يحضر ما رواه. ^(٤)

٣ - أن الآية مكية فلم تنزل إلا مرة واحدة وذلك لأمر:
أ - أن السورة مكية. وقد حكى الاتفاق على ذلك، الزركشي في البرهان، والفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز، وغيرهما. ^(٥) وبعض الذين ذكروا

(١) انظر: البرهان للزركشي (٣٠/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٦٤/٣) - مكتبة العبيكان -

(٣) فتح الباري (٤٠١/٨).

(٤) انظر: الاتقان للسيوطي (١٢٠/١).

(٥) انظر: البرهان (٣٠/١)، وبصائر ذوي التمييز (٢٨٨/١).

أن في مكة السورة استثناء لم يذكروا هذه الآية من بينها كما روي عن ابن عباس، وقتادة، ومقاتل.^(١)

ب - أن رواية الترمذي عن ابن عباس صريحة في سببية النزول بخلاف رواية البخاري. فقد تعددت رواياتها في حقيقة الوحي وحصوله فعلاً. وفي اختلاف صيغة السببية:

ففي رواية: .. ثم قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾^(٢) وفي رواية: فظننت أنه يوحى إليه، فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾^(٣) وفي رواية: .. فعلمت أنه يوحى إليه قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾^(٤) فكل هذه الروايات ليس فيها تصريح بالنزول، وإنما تصريح بالقول. فجائز أن يجمع بين نزول الوحي إن ثبت، وعدم نزول الآية مرة أخرى بأن الوحي نزل عليه بأن يجيبهم بنفس الآية السابقة ولا يعد هذا نزولاً ثانياً للآية. ويكون سكوته عليه الصلاة والسلام وانتظاره في الجواب انتظار توقع لنزول مزيد بيان عن السؤال فلما لم ينزل تلا ما سبق نزوله عليه.

قال ابن كثير - رحمه الله - : "وقد يجاب عن هذا ... بأنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه"^(٥) فما ذكر من الآيات عند بعض المناسبات مما سبق نزوله إنما هو تذكير به، وبيان

(١) انظر: تفسير ابن عطية (٢٥٤/١٠)، والقرطبي (٢٠٣/٩)، وابن الجوزي (٣/٥).

(٢) انظر: فتح الباري (٢٦٥/١٣).

(٣) المصدر السابق (٤٤٠/١٣).

(٤) المصدر السابق (٤٤٢/١٣).

(٥) تفسير ابن كثير (٦٤/٣) - مكتبة العبيكان -

أن الآية جواب عليه فأطلق بعضهم على ذلك نزول. يقول الشيخ طاهر الجزائري في هذا المقام ونظائره: "ولعل هذا مراد من قال في نظائر ذلك: نزلت مرتين"^(١) وسواء ترجح القول بمدنية الآية استثناء من مكية السورة، أو ترجح القول بمكية الآية اتساقاً مع مكية السورة فإنه لا تكرر في النزول - في الحالتين - والله أعلم.

٦ - سورة الإخلاص: فقد ذكرها الزركشي في البرهان،^(٢) والسيوطي في الإتقان،^(٣) مما تكرر نزوله وذلك استناداً لما ورد في سبب نزولها من روايات:

١ - فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فالصمد الذي ﴿لم يلد ولم يولد﴾ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، ولا شيء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث. ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.^(٤)

(١) التبيان للشيخ طاهر الجزائري (٥٦).

(٢) البرهان (٣٠/١).

(٣) الإتقان (١٣٠/١).

(٤) أخرجه الترمذي (٤٥٢/٥) رقم (٣٣٦٤). والواحد في أسباب النزول (٥١١). والبيهقي في الأسماء والصفات (٤١٩/١). والحاكم في المستدرک (٥٤٠/٢) وقال عنه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وانظر حاشية تفسير ابن الجوزي (٢١٥/٩).

٢ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: انسب لنا ربك فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...﴾^(١)

٣ - وعن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام أن عبد الله بن سلام قال لأخبار يهود: إني أحدث بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عهداً فانطلق إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة - في حديث طويل - فلما نظر إليه رسول الله قال: أنت عبد الله بن سلام؟ قال: قلت: نعم. قال ادن. فدنوت منه قال أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام أما تجدني في التوراة رسول الله؟ فقلت: انعت ربك. قال فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...﴾ فقرأها علينا رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله^(٢)

فعلى الرواية الأولى، والثانية فالسورة مكية. وعلى الرواية الثالثة فالسورة مدنية. ونتيجة لهذا التعارض اختلف العلماء في مكية السورة ومدنيتها على أقوال:

١ - أن السورة تكرر نزولها. فنزلت أولاً بمكة جواباً للمشركون، ثم نزلت مرة ثانية بالمدينة جواباً لأهل الكتاب. وهذا ما ذكره الزركشي في البرهان.^(٣)

^(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٥١٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٢٠/١) والهيتمي في مجمع الزوائد (١٤٦/٧)، وعند ابن جزي (٤٤٤/٤) إن المشركون قالوا: انسب لنا ربك..

^(٢) أخرجه الهيتمي في مجمع الزوائد (١٤٦/٧-١٤٧).

^(٣) البرهان (٣٠/١)

٢ - أن السورة مدنية فلم تنزل إلا مرة واحدة وهو قول مجاهد، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي العالية، والربيع بن أنس وغيرهم ورجحه السخاوي فقال: وهو الصحيح إن شاء الله.^(١) كما رجحه السيوطي في الاتقان عند تحريره لما هو مختلف فيه من السور المكية والمدنية. فقال: "فيها قولان لحديثين في سبب نزولها متعارضين، وجمع بعضهم بينهما بتكرار نزولها ثم ظهر لي بُعد ترجيح أنها مدنية، كما بيته في أسباب النزول"^(٢)

والذي بيّنه في أسباب النزول أنه فسر المشرّكين الوارد ذكرهم في حديث أبيّ بأنهم الأحزاب الوارد ذكرهم في حديث قتادة الذي أورده في أسباب النزول. قال قتادة: قالت الأحزاب: انسب لنا ربك فأتته بهذه السورة. ورأى أنه بهذا ينتفي التعارض بين الحديثين وتكون السورة مدنية. ولم يذكر القول بتكرار النزول هنا.^(٣)

٣ - أن السورة مكية، ولم تنزل إلا مرة واحدة وهو قول جمهور العلماء فهو قول ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر بن عبد الله، وأبي ابن كعب، وعطاء بن أبي مسلم، وكريب، ونافع بن أبي نعيم. وغيرهم.^(٤) وهو الراجح فإن الرواية الثالثة في سندها انقطاع. فقد قال الهيثمي: "حمزة لم يدرك جده عبد الله بن سلام ففي إسناده انقطاع"^(٥)

(١) جمال القراء للسخاوي (١٩/١).

(٢) الاتقان للسيوطي (٥٥/١).

(٣) انظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (٢٣٨).

(٤) انظر تفسير الماوردي (٣٦٩/٦)، وابن الجوزي (٢٦٤/٩)، وبصائر ذوي التمييز (٥٥٣/١)

ولم يذكر في مكيتها خلافاً، وجمال القراء للسخاوي (١٩/١).

(٥) مجمع الزوائد (٣٢٦/٩).

وقال ابن كثير: غريب جداً. فعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة.^(١) بل قيل أن إسلامه تأخر إلى سنة ثمان^(٢) كما أن السورة تحمل خصائص السور المكية في أسلوبها، وموضوعها. فإذا ترجح هذا لم يصح القول بتكرار نزولها.

وقد نبه السيوطي في الاتقان إلى سبب وجيه في تعارض روايات أسباب نزول بعض الآيات، وهو وهم الراوي حين يقول "فنزل" بدلاً من قوله "فتلا" - أو فقرأ - ثم ذكر لذلك مثلاً: فقال مثاله ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: مر يهودي بالنبي ﷺ فقال كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه، والأرضين على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه ؟ فأنزل الله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية.^(٣)

والحديث في الصحيح بلفظ "فتلا رسول الله ﷺ"^(٤) وهو الصواب فإن الآية مكية. وهذا ما يدعوا إلى تدقيق النظر في ألفاظ الرواة وصيغ الرواية لمعرفة الراجح منها.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٩٥) - دار الشعب -

(٢) انظر: الإصابة لابن حجر (٢/٣٢٠) رقم (٤٧٢٥).

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الزمر (٥/٣٧١) رقم (٣٢٤٠) وقال عنه هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود بلفظ: إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع.. الحديث. وفيه: ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾. انظر فتح الباري (٨/٥٥٠).

ونتبين مما سبق أنه أمكن الترجيح بين ما ورد من روايات مختلفة
في أسباب نزول بعض السور والآيات، تلك الروايات التي كانت الدافع
الأقوى للقول بتكرر النزول لتوهم عدم إمكان الجمع بينها أو ترجيح
أحدها.

وبهذا الترجيح وما تقدم من أدلة يتبين ضعف القول بتكرار
النزول، وعدم صحته، وسقوط حجته. وانتفاء حاجته.
- والله أعلم - .



الفهارس العامة

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات

الصفحات	رقم الآية	اسم السورة
٣٦، ٤	٢٢	البقرة
٥	٥٩	
٥٢	١٠٩	
٥	١٦٤	
٦٥، ٦٤، ٣٠، ٢٦، ٢٣، ١٩، ١٦	١٨٥	
٤٦	١٨٩	
٥٣	١٩٠	
٥٣	٢١٦	
٥٠، ٤٨	٢١٩	
٥١	٢٧٥	
٥١	٢٧٩ - ٢٧٨	
٦١	٢٨١	
٧٣، ٢٦، ١٠، ٩	٤-١	آل عمران
٥١	١٣٠	
٤٨	٤٣	النساء
٨٤، ٥٤	٨٢	
٧١	٩٥	

٧٣،٩	١٣٦	
٧٧	١٥٣	
٧١،٦١،٦٠	٥٣	المائدة
٥٢	١٣	
٥٥،٤٤،٣٦	٦٧	
٥٠،٤٩	٩١-٩٠	
٤٢	٣٤-٣٣	الأنعام
١٤	٣٧	
٥	٩٩	
٣٥	١١٤	
٧٥	١٥٤	
٧	٢٦	الأعراف
٧٥	١٤٥	
٧٥	١٥٤	
٤٥	١٨٧	
٨	٢٦	التوبة
٧١	٢٨	
٥٣	٣٦	
٩٤،٩٣	١١٣	

٤٣	٥	يونس
٥٤	١	هود
١٠٠	١١٤	
٧٥	١٠٩	يوسف
٣٤	٦	الرعد
٥	١٧	
٤٣	٦٥	
١١	٩	الحجر
٩١	٨٧	
١٤	٤٤	النحل
٥	٦٥	
٤٧	٦٧	
٣٥،٣	١٠٢	
١٠١	١٢٨-١٢٦	
٤٣	١٢٧	
١٠٤،٤٥	٨٥	الإسراء
٧٣	٩٤	
٧٥،١٤،٦	٩٥	
٤٤	١٠٥	

٤٤، ٣٧، ٢٤، ١٧، ١١	١٠٦	
٤٣	٦	الكهف
١٠٥	١٠٩	
٤٥	١١٤	طه
٧٣	٣	الأنبياء
٥٢	٤٠-٣٩	الحج
٢	٢٩	المؤمنون
٧٣، ٤٢، ٤١، ٣٧، ١٨، ١٣	٣٢	الفرقان
٧٨، ٧٧، ٧٦		
٤٦، ٤٤	٣٣	
٣٥	٤	الشعراء
٨٩	١٩٣	
٣٥	١٩٤-١٩٣	
٥	٣٤	العنكبوت
٢٨	٢٣	سبا
٤٣	٨	فاطر
٦	٢٨	يس
٤٣	٧٦	
٣	١	الزمر

٧	٦	
١١١	٦٧	
٣٦،٣	٢-١	غافر
٣٦،٣	٢-١	فصلت
٥٢	٣٤	
٤	٤-١	الزخرف
٣١	٤	
٦٥،٣٠،١٩،١٦	٣	الدخان
٣	٢	الجاثية
٣	٢	الأحقاف
٤٣	٣٥	
٨٤	٢٤	محمد
٤٤	٣	الفتح
٨	٤	
٨	٢٦	
٤٤	١٧	القمر
٤٣	٤٣	
٣١	٧٩-٧٧	الواقعة
٢	٩٢	

٦	٢٥	الحديد
٣	٤٣	الحاقة
٤٣	١٠	المزمل
٤٤	١٩-١٧	القيامة
٣٣، ٣١	١٦-١١	عبس
٢٩، ٢٨	١٦-١٣	
٣١	٢٢-٢١	البروج
٤١	٦	الأعلى
٧١	٥	الضحى
٧١	٥-١	العلق
٢٧، ٢٣، ٢٢، ١٩، ١٦، ١١	١	القدر
٦٦، ٦٥، ٣٩، ٣٢، ٣٠		
١٠٨	٣-١	الصمد

فهرس الأحاديث والآثار

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٦٢	١- استنبأ النبي ﷺ يوم الاثنين .
٨٨	٢- إن إبليس رن .
١٠٨	٣- أن أعرايياً جاء .
٩٥	٤- أن رسول الله زار المقابر .
٢١	٥- أنزل جملة على جبريل .
٦٥	٦- أنزلت صحف إبراهيم .
١٦	٧- أنزل القرآن جملة واحدة .
٢٠	٨- أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع .
١٧	٩- أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر .
١٧	١٠- أنزل القرآن في ليلة القدر .
٢٠	١١- أنزل القرآن ليلة القدر .
٦٧	١٢- أنزلت الكتب كاملة .
١٩	١٣- أنزل الله القرآن .
٥٥	١٤- أنزلت الليلة آيات .
١٠٨	١٥- أن المشركين قالوا .
١٠٢	١٦- أن النبي ﷺ وقف على حمزة .
١٩	١٧- أنه أنزل في رمضان .

١٠٩	١٨- إني أحدث بمسجد أبينا إبراهيم .
٥٢	١٩- إني لم أؤمر بذلك .
٩٢	٢٠- أول ما أقرأ جبريل .
١٠٥	٢١- بينما أنا أمشي .
٦٢، ٦٠	٢٢- ذاك يوم ولدت فيه .
٩٧	٢٣- رب اغفر لقومي .
٩٤	٢٤- سمعت رجلاً .
٥٤	٢٥- فأنزل الله توبتنا .
١٨	٢٦- فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة .
٨٨	٢٧- قام النبي ﷺ بمكة فقال بسم الله .
٥٥	٢٨- كنا نحرس .
٩٣	٢٩- لما حضرت أبا طالب .
٩٥	٣٠- لما مات أبو طالب .
١١١	٣١- مر يهودي بالنبي .
٨٧	٣٢- نزلت فاتحة الكتاب .
٨٩	٣٣- نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة .
٨٨	٣٤- نزلت فاتحة الكتاب بمكة .
٨٧	٣٥- نزل القرآن جملة من السماء .

١٨	٣٦- نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان .
١٩	٣٧- نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر .
٩٥	٣٨- لا أزال أستغفر .
٩١	٣٩- لا صلاة لمن لم يقرأ .
٥٥	٤٠- يا أيها الناس انصرفوا .

فهرس الأعلام

العلم	الصفحات
إبراهيم عليه السلام	١٠٨، ٩٥، ٩٤
إسماعيل عليه السلام	١٠٩
آمنه بنت وهب	٩٥
إبراهيم النخعي	٢١
الألوسي	١٠١، ٩٢، ٩١، ٩٠
أنس	٦٢
أبي بن كعب	١١٠، ١٠٨، ١٠٢
الإمام أحمد	١٠٤، ٣٤
ابن أم مكتوم	٧١
ابن الأنباري	٨٨، ٢٦
ابن أبي شيبة	٦٧، ٢٣
أيوب بن هاني	٩٩
البراء بن عازب	٧١
البخاري	١٠٤، ١٠٠، ٧١
البقاعي	٧٨، ٧٧، ٧٦
البيهقي	١٠٢، ٦٦، ٣٢، ٣١
البلقيني	٦٣

العلم	الصفحات
الترمذي	١١٢، ١٠٦، ١٠٤، ١٠٢، ٩٤، ٥٥
ابن تيمية	٣٧، ٣٥، ٣٤، ٣٢، ٨، ٧، ٦، ٤
الثعلبي	٩٢، ٩٠، ٨٧
جابر بن عبدالله	١١٠، ١٠٩، ٩٥، ٦٤
جبريل - عليه السلام-	٣٠، ٢٨، ٢٧، ٢٣، ٢٠، ١٨، ٤
	٤٠، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٣، ٣٢
	١٠٩، ٨٥، ٨٠، ٦٥، ٥٩، ٤٥، ٤٤
ابن جريج	٢٥
أبو جعفر الباقر	٦٥، ٦٣
ابن جزي الكلبي	٥٧
الجرجاني	٩
أبو جهل	٩٣
الحسن البصري	٨٨، ٨٧، ٥٧
ابن الحصار	١٠٤، ١٠١، ٨٠
حسان بن حريث	١٨
حبيب بن أبي ثابت	١٩
الحسين بن الفضل	٩٢، ٩١
الحسن محمد النيسابوري	٥٧، ٥٦

الصفحات	العلم
٣٣، ٢٩	الحكيم الترمذي
٢١	حكيم بن جبير الأسدي
٦٥، ٢٥	الحليمي
٩٧، ٨٤، ٦٩، ٦٨، ٥٨، ٢٦، ١٥	ابن حجر
١٠٦، ٩٨	
٧٦، ١١	أبو حيان
٩٩، ٩٥	الحاكم
١٠٢	حمزة
١١٠، ١٠٩	حمزة بن يوسف
٢٣، ١٧، ١٦	داود بن أبي هند
٩٩	الذهبي
١١٠، ١٩	الربيع بن أنس
١١، ٨	ابن الزبير الغرناطي
١٠٠، ٧١، ٩٣، ٩٠، ٨٠، ٥٦، ١٥	الزركشي
١٠٩، ١٠٨، ١٠٦، ١٠٤، ١٠١	
٥٥	زيد بن أرقم
٩١، ٩٠، ٨١، ٧٧، ٧٦، ١٢، ١٠، ٨	الزمخشري

الصفحات	العلم
٨٣،٨٢،٦٦،٤١،٤٠،٢٢	السخاوي
١١٠،٩٠	
١٠،٨	السمين الحلبي
٦٥،٦٢	ابن سعد
١٤	سيبويه
٨٢،٨٠،٧٣،٥٦،٣٧،٢٥،١٥	السيوطي
١٠٤،١٠١،٩٩،٩٦،٩٠،٨٣	
١١١،١١٠،١٠٨	
٢٢،٢١،١٩،١٨،١٧	سعيد بن جبير
٩٥،٩٣	سعيد بن المسيب
١٠٤	ابن السائب
٨٨	سواد بن زياد
٨٦	السيد أحمد عبد الغفار
١٠٤،٦٩،٢٧،٢٣،٢٢	الشعبي
١٠٠،٧٦	الشوكاني
٧٠،٦٩،٣٣،٢٨،٢٣	أبو شامة القدسي
٢٢	صبحي الصالح

العلم	الصفحات
صقي الرحمن المباركفوري	٦٧
ابن الصلاح	٧١
صالح بن بشير المري	١٠٣
الضحاك	٦٩
الطبري	٢٣، ٢٢
الطبراني	٩٦، ٥٥
طاهر الجزائري	١٠٨، ٨٤، ٧٣
أبو طالب	٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٣
عبد الله بن عباس	٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٧، ١٦، ١٥
	٦٢، ٥٧، ٣٩، ٣٢، ٢٩، ٢٧، ٢٤
	١٠١، ٩٦، ٨٨، ٨٧، ٧٠، ٦٤
	١١١، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤
عبد الله بن مسعود	١١٠، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٠، ٩٩، ٩٥
علي بن أبي طالب	٩٤، ٨٧
عبد الله بن عبيد الله بن عمير	٨٨
عبيد الله بن عبد الله	٦٤
عكرمة	١١٠، ٥٧، ٢٠، ١٧، ١٦
عطاء بن يسار	١١٠، ٨٨

الصفحات	العلم
١١٠	عطاء بن مسلم
١٩	عطية الأسود
٥٥، ٤٧	عائشة - أم المؤمنين -
٩٤	عبد المطلب
٢٨	ابن العربي
٢٨	علي بن سهل النيسابوري
٩٨، ٩٦، ٨٠، ٧١، ٥٦، ٥٥، ٢٩	ابن عقيلة المكي
٩٣، ٨٤، ٧٦	ابن عاشور
٦٩	ابن عرفة
٨٥، ٨٤	العماد الكندي
٥٧	ابن عطية
٥٥	عقبة بن عامر الجهني
٦٤، ٦٣	عبيد بن عمير
١١٠، ٨٧	أبو العالية
٩٣	عبد الله بن أمية
١٠٠	أبو عثمان النهدي
١١١، ١١٠، ١٠٩	عبد الله بن سلام

الصفحات	العلم
٩٢،٩٠	أبو الليث السمرقندي
٢٨،٢٧،٢٣،٢١،٢٠،٤،٣،٢	محمد - ﷺ -
٤١،٣٨،٣٧،٣٦،٣٥،٣٤،٣٢	
١٠٨،٨٠	
٧٨،٧٥،٤١،٣٦،٣٥	موسى عليه السلام
١٧	منصور بن المعتمر
١٩	مقسم
٢٥	مقاتل بن حيان
٢٦،٢٥	مقاتل بن سليمان
٦٥،٦٤،٥٥،٢٢	محمد بن إسحاق
٢٨،٢٧،٢٦،٢٠	الماوردي
٢٢	محمد عبده
٣٨،٣٧	محمد بن إبراهيم آل الشيخ
١٠٣،١٠٢،٨١،٦٢،٦١	محمد محمد أبو شهية
١٠٤،١٠٣،١٠٢،٨١،٦٠	محمد عبد العظيم الزرقاني
٥٩	محمد الخضري
٤٨	المتحل البشكري

الصفحات	العلم
١١٠، ٩٩	محمد بن كعب القرظي
٨٦، ٨٤	منايع القطان
٨٧	محمد بن يحيى بن حيان
١١٠، ٩٢، ٨٨	مجاهد
١٠٧، ١٠٤	مقاتل
٩٢، ٨٧	أبو ميسرة
١٠٣، ٩٩	ابن معين
١١٠	نافع بن أبي نعيم
٢٢	النسفي
٥٩	النووي
١٠٤	النسائي
١٠٢، ٨٨	أبو هريرة
٩٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٩، ٨	الواحدي
٦٥	الواقدي
٦٦، ٦٥	وائلة بن الأسقع
١٧، ١٦	يزيد بن هارون
٦٤	يحيى الصرصري
١٠١	أبو اليسر

المصادر والمراجع

- ١- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني الطبعة الأولى عام ١٣٢٨. مطبعة السعادة.
- ٢- الأعلام، للزركلي، الطبعة الثالثة.
- ٣- الأسماء والصفات، للحافظ أبي بكر البيهقي، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
- ٤- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- ٥- إرشاد العقل السليم.
- ٦- أسباب النزول، للواحدي، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٤هـ، دار القبلة. جدة.
- ٧- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- ٨- البحر المحيط، لأبي عبد الله محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي. نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض.
- ٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي.
- ١٠- بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي، تحقيق عبد الرحيم أحمد الزفة الطبعة الأولى، بغداد مطبعة الإرشاد.
- ١١- البسيط، للواحدي، رسالة دكتوراه للباحث: أحمد محمد صالح

الحمادي . كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه .

١٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروزآبادي ، تحقيق محمد علي النجار .

١٣- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيان ، للشيخ طاهر الجزائري ، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .

١٤- التعريفات ، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية .

١٥- التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م .

١٦- تفسير النسائي ، تحقيق سيد الجليمي ، صبري الشافعي ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ ، مكتبة السنة .

١٧- تفسير ابن عرفة برواية تلميذه الأبي ، دراسة وتحقيق د . حسن المناعي ، نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٧ هـ .

١٨- تفسير جزء عم ، محمد عبده ، طبعة بولاق .

١٩- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير اسماعيل بن عمر . طبع دار إحياء الكتب العربية ، ونشر مكتبة العبيكان بالرياض .

٢٠- تفسير ابن أبي حاتم ، مخطوط .

٢١- تفسير مقاتل بن سليمان البلخي ، مخطوط .

٢٢- تفسير الثعلبي ، مخطوط ، نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، ٩٨

تفسير .

٢٣- التحرير في علم التفسير، للسيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، عام ١٤٠٨هـ.

٢٤- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي. تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة حسان.

٢٥- التنبيه على فضل علوم القرآن، لأبي القاسم النيسابوري. منشور في مجلة المورد العراقية، بتحقيق محمد عبد الكريم كاظم، عدد (٤) مجلد ١٧، عام ١٤٠٩هـ.

٢٦- تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضري بك، الطبعة السادسة، عام ١٩٦٤م. مطبعة السعادة بمصر.

٢٧- تاريخ القرآن، لأبي عبد الله الزنجاني، تحقيق محمد عبد الرحيم الطبعة الأولى، عام ١٤١٠هـ، دار الحكمة للطباعة والنشر. دمشق.

٢٨- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان.

٢٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق أحمد شاكر، ومحمود شاكر، طبعة شركة مصطفى الحلبي، الطبعة الثالثة، مصر، ١٣٨٨هـ.

٣٠- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي، تحقيق د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ، مكتبة التراث. مكة المكرمة.

٣١- الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم. للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. مطبعة الحكومة بمكة المكرمة. عام ١٣٦٩هـ.

- ٣٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، طبعة دار الفكر. بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ.
- ٣٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم. دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ٣٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود شكري الألوسي، دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان.
- ٣٥- الرحيق المختوم، للشيخ صفى الرحمن المباركفوري، دار المؤيد. الرياض عام ١٤١٥هـ.
- ٣٦- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي. الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- ٣٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.
- ٣٨- الزيادة والإحسان، لابن عقيلة المكي، تحقيق د. محمد صفاء حقي، رسالة ماجستير. كلية أصول الدين بالرياض، قسم القرآن وعلومه.
- ٣٩- سنن سعيد بن منصور، دراسة وتحقيق د. سعد بن عبد الله آل حميد، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ. دار الصميعي. الرياض.
- ٤٠- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث، مراجعة وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار إحياء السنة النبوية.
- ٤١- سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٥هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

- ٤٢- سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، الطبعة الثالثة، عام ١٣٧٥هـ، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- ٤٣- السيرة النبوية، للذهبي، تحقيق حسام الدين القدسي، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- ٤٤- السيرة النبوية، لابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد. دار المعرفة، بيروت، عام ١٤٠٢هـ.
- ٤٥- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر.
- ٤٦- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز تحقيق د. عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ. مؤسسة الرسالة بيروت.
- ٤٧- شرح صحيح مسلم، للنووي. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ. دار الفكر. بيروت. لبنان.
- ٤٨- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. طبعة المكتب الإسلامي، إستانبول. تركيا ١٩٧٩م.
- ٤٩- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، عناية محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٠هـ.
- ٥٠- الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي مكتبة المعارف. الرياض عام ١٤٠٠هـ.
- ٥١- الضعفاء الصغير، للبخاري، تحقيق بوران الضناوي، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ، عالم الكتب.

- ٥٢- الضعفاء والمتروكين ، للنسائي .
- ٥٣- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار صادر . بيروت .
- ٥٤- طبقات المفسرين ، للداودي ، تحقيق علي محمد عمر ، الطبعة الأولى ، عام ١٣٩٢هـ ، مكتبة وهبة .
- ٥٥- علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ، د . محمد صفاء حقي . رسالة دكتوراه ، كلية أصول الدين بالرياض . قسم القرآن وعلومه .
- ٥٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ومكتبتها .
- ٥٧- الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٨هـ .
- ٥٨- فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن ، لذكريا الأنصاري . تحقيق عبد السميع حسنين ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، مكتبة الرياض الحديثة .
- ٥٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير للشوكاني .
- ٦٠- فضائل القرآن ، لابن كثير ، تحقيق أبي إسحاق الجويني ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٦هـ ، وطبعة دار الأندلس .
- ٦١- فضائل القرآن ، للنسائي ، تحقيق د . فاروق حماده ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٠هـ ، دار الثقافة . الدار البيضاء ، المغرب .
- ٦٢- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة ، لابن الضريس ، تحقيق غزوة بدير ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٨ ، دار الفكر - دمشق .

٦٣- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق مروان عطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ، دار ابن كثير، دمشق - بيروت.

وطبعة فضالة بالمغرب، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي عام ١٤١٥هـ.

٦٤- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت، لبنان.

٦٥- كشف الأستار، عن زوائد البزار للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٩. مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٦- لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني، تحقيق عامر السيد عثمان، ود. عبد الصبور شاهين، طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام ١٣٩٢هـ.

٦٧- لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، دار إحياء العلوم.

٦٨- المأثور في تفسير سورة الفاتحة، جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الإله بن سليمان الأحمد، الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض.

٦٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، المطبعة الأميرية الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٣٩٨هـ.

٧٠- معجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع مجمع اللغة العربية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٧١- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي.

٧٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ.

٧٣- معجم المفسرين، عادل نويهض، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ. مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت.

٧٤- معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٧٥- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٦- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. نشر مكتبة الأنجلو المصرية. المطبعة الفنية الحديثة، إشراف د. محمد أحمد خلف الله.

٧٧- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبه، الطبعة الثانية.

٧٨- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل، لابن الزبير الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٧٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- ٨٠- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الطبعة الرابعة عشرة، عام ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٨١- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، الطبعة الثامنة، عام ١٩٧٤م، دار العلم للملايين، بيروت.
- ٨٢- المستدرك على الصحيحين في الحديث، للحاكم. نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.
- ٨٣- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، تحقيق طيار آلي قولاج، دار صادر، بيروت ١٣٩٥هـ.
- ٨٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيتمي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٨٥- مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، ١٣٧٤هـ.
- ٨٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، المغرب ١٣٩٩هـ. مطبعة فضالة المحمدية، المغرب.
- ٨٧- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٨هـ.
- ٨٨- مفاتيح الغيب «التفسير الكبير» للفخر الرازي، الطبعة الأولى.
- ٨٩- مختصر السيرة لابن هشام، إعداد محمد عفيف الزعبي، دار النفائس، الطبعة السابعة، عام ١٤٠٧هـ.

- ٩٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- ٩١- النكت والعيون، للماوردي، تحقيق الباحث، وكذا تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية بيروت. ومؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت.
- ٩٢- نظم الدرر في تناسب الآي والسور، للبقاعي، طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٦هـ.
- ٩٣- وضح البرهان في مكشلات القرآن، لبيان الحق النيسابوري، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.



فهرس الموضوعات

الصفحات	العنوان
١	- تقديم
٢	النزول في اللغة .
٣	النزول في القرآن الكريم .
٨	الفرق بين الإنزال والتنزيل .
١٥	تنزيلات القرآن الكريم
١٥	القول الأول .
١٥	القائلون به .
١٦	أدله .
٢٢	القول الثاني .
٢٢	القائلون به .
٢٤	أدله .
٢٥	القول الثالث .
٢٥	القائلون به .
٢٧	القول الرابع .
٣٠	الترجيح .
٤٠	حكمة نزول القرآن الكريم جملة .

الصفحات	العنوان
٤٢	حكم وقوائد نزول القرآن مفرقاً .
٤٢	الحكمة الأولى : تثبيت فوائد الرسول ﷺ .
٤٤	الحكمة الثانية : تيسير حفظه وفهمه .
٤٥	الحكمة الثالثة : التحدي والإعجاز .
٤٦	الحكمة الرابعة : التدرج في التشريع :
٤٧	الخمر .
٥٠	الميسر .
٥١	الربا .
٥١	الجهاد .
٥٣	الحكمة الخامسة : الدلالة على أن القرآن من عند الله .
٥٤	وقت نزول القرآن الكريم .
٥٧	مدة نزول القرآن الكريم .
٦٢	يوم إنزال القرآن الكريم .
٦٣	شهر إنزال القرآن الكريم .
٧٠	مقدار التنزيل .

الصفحات	العنوان
٧٣	صفة نزول الكتب السماوية السابقة
٧٣	القول الأول .
٧٦	القول الثاني .
٨٠	القول بتكرار النزول
٨٠	القول الأول : أن من القرآن ما تكرر نزوله .
٨٠	القائلون به .
٨٢	أدلته .
٨٤	القول الثاني : أنه ليس هناك شيء من القرآن تكرر نزوله .
٨٧	روايات وتوجيهات .
٨٧	١ - سورة الفاتحة :
٨٧	القول الأول : أنها مكية .
٨٨	القول الثاني : أنها مدنية .
٩٠	القول الثالث : أنه نزل نصفها بمكة والآخر بالمدينة .
٩٠	القول الرابع : أنها مكية مدنية نزلت مرة بمكة وأخرى بالمدينة .

الصفحات	العنوان
٩١	الترجيح
٩٣	٢- قوله تعالى: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين...»
١٠٠	٣- قوله تعالى: «وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل...»
١٠١	٤- قوله تعالى: «وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به...»
١٠٤	٥- قوله تعالى: «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي...»
١٠٨	٦- سورة الإخلاص.
١١٥	الفهارس العامة
١١٧	فهرس الآيات
١٢٣	فهرس الأحاديث والآثار
١٢٦	فهرس الأعلام
١٣٥	فهرس المصادر والمراجع
١٤٧	فهرس الموضوعات